

مدخل إلى علم الكلام



سلسلة المعارف التعليمية

مدخل إلى
علم الكلام



دار المعارف، الإسلامية الثقافية

الكتاب: مدخل إلى علم الكلام

إعداد: مركز المعارف للمناهج والمتون التعليمية

إصدار: دار المعارف الإسلامية الثقافية

تصميم وطباعة: DB UH
009613 336218

الطبعة: الثالثة - 2022م / 1443هـ

ISBN 978-614-467-285-3

books@almaaref.org.lb

00961 01 467 547

00961 76 960 347

سلسلة المعارف التعليمية

مدخل إلى علم الكلام



دار المعارف الإسلامية الثقافية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الفهرس

9	المقدمة
11	الدرس الأول: ما هو علم الكلام؟
13	تعريف علم الكلام
14	ماهية علم الكلام
15	موضوع علم الكلام
16	الحاجة إلى علم الكلام
191	الدرس الثاني: أسماء علم الكلام وسبب التسمية
21	تهييد
21	علم الكلام
22	علم أصول الدين
23	علم العقائد
23	علم التوحيد والصفات
23	الفقه الأكبر
23	علم النظر والاستدلال
25	الدرس الثالث: أهميّة علم الكلام ومرتبته بين العلوم
27	أهميّة علم الكلام
27	1. البنائيّة:
28	2. الدفاعيّة:
28	3. تصحيح النية:
28	4. تفرّع العلوم الشرعيّة على هذا العلم:

5. بناء قواعد الدين: 28
6. إرشاد المسترشدين: 29
- شرف علم الكلام 29
1. شرف العلم تابع لشرف المعلوم: 29
2. براهين العلم أوثق البراهين: 29
3. التعرف إلى مطالب السعادة: 29
4. احتياج العلوم الدينية لهذا العلم: 30
5. بقاء أثره بعد الموت: 30
- مرتبه بين العلوم 30

33 الدرس الرابع: ضرورة علم الكلام

- الفرق بين علم الكلام والفلسفة 35
- شبهة حرمة علم الكلام 36
1. لطائف خاصة: 37
2. النهي كان عن إثبات أصول غير حقة: 37
3. النهي عن تشبيه الله بخلقه وتجسيده: 38
- وجوب معرفة علم الكلام 38

41 الدرس الخامس: نشأة علم الكلام (1)

- نشأة علم الكلام 43
- عوامل نشأة علم الكلام 43
1. دور القرآن الكريم 43
2. تأثير أحاديث الرسول ﷺ ومناظراته 44
3. خطب الإمام علي عليه السلام 45
4. خطب معارف العترة الطاهرة عليهم السلام 46

49 الدرس السادس: نشأة علم الكلام (2)

- العوامل الخارجية لنشأة علم الكلام 51
1. الاحتكاك الثقافي واللقاء الحضاري 51

52	2. انتقال الأُسْر.....
52	3. الترجمات.....
53	موقف المسلمين من الشبه.....
54	بدايات المسائل الكلامية في القرن الأول والثاني.....
57	الدرس السابع: نماذج من المسائل الكلامية.....
59	مسألة التحكيم.....
60	مرتكب الكبيرة.....
60	مفهوم الإيمان.....
60	القضاء والقدر.....
61	التشبيه والتنزيه.....
62	عصمة الأنبياء ﷺ.....
62	حدوث القرآن وقدمه.....
67	الدرس الثامن: متكلمو الشيعة (1).....
69	أُمَّة الشيعة في القرنين الأولين.....
71	أبرز أصحاب الأُمَّة ﷺ في القرن الأول.....
73	بعض متكلمي الشيعة في القرن الثاني.....
76	بعض متكلمي الشيعة في القرن الثالث.....
81	الدرس التاسع: متكلمو الشيعة (2).....
83	متكلمو الشيعة في القرن الرابع.....
86	متكلمو الشيعة في القرن الخامس.....
88	متكلمو الشيعة في القرن السادس.....
89	متكلمو الشيعة في القرن السابع.....

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين،
وبعد.

ما زالت العلوم الإسلامية تحافظ على أصالتها وحيويتها، رغم التحديات العصرية الكبيرة، ورغم التطور العلمي الهائل الذي شهده القرن الأخير، وما زال طلاب العلوم الإسلامية يسعون لدراسة الفكر الإسلامي، وهم محتاجون في فهم الشريعة، وفهم القرآن الكريم، وفهم التراث الإسلامي إلى عددٍ من العلوم الإسلامية، ما يستدعي أن يبذلوا قصارى جهدهم، وأن يمضوا سنياً من حياتهم في سبيل هذا الهدف. وبعد اتساع نطاق هذه العلوم وتشعبها أصبح من الضروري جداً وجود ما يقدم لمحة كلية عن العلوم الإسلامية، بذكر مقدمات كل علم، وتاريخ وأسباب نشوئه، وتطوره، والمنهج المتبع فيه، وأهم أبحاثه وكتبه والعلماء المؤسسين له، ومدى الحاجة إليه والاستفادة منه، وقد اصطلح على هذا النحو من المعرفة اسم: مداخل العلوم الإسلامية.

ونظراً للحاجة العلمية والتعليمية إلى وجود كتاب مستقل كمدخل لكل علم من العلوم الإسلامية في حوزاتنا ومدارسنا العلمية، تصدى مركز نون للتأليف والترجمة

لإعداد هذا الكتاب؛ مدخل إلى علم الكلام. لينضم إلى سلسلة مداخل العلوم التي تضم حتى الآن، الفلسفة والفقه والأصول، العرفان، وعلم الاجتماع. على أمل التوفيق لإكمال هذه السلسلة لتضم ما تبقى من العلوم الإسلامية. وقد اعتمدنا في الإعداد والتأليف والتحقيق على عددٍ من المصادر والمراجع المتخصصة في مجالها. على أمل أن يكون كتابنا هذا قد ملأ فراغاً علمياً وتعليمياً، في ساحتنا الإسلامية.

والحمد لله رب العالمين

مركز المعارف للدراسات والبحوث الإسلامية

الدرس الأوّل

ما هو علم الكلام؟

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يذكر التعريف الأنسب لعلم الكلام.
2. يبيّن العلاقة بين علم العقيدة وعلم الكلام.
3. يحدّد أهمية علم الكلام.

تعريف علم الكلام

لقد جرت العادة في التعرف على أي علم من العلوم، أن يتم تعريف هذا العلم تعريفاً يوضح حقيقة هذا العلم وحدوده. وقد عُرّف علم الكلام بتعريفات عدة، منها:

1. تعريف ابن ميثم البحراني: «العلم المتكفل ببيان أصول الدين»⁽¹⁾.
2. تعريف الملا صدرا: في شرحه على أصول على الكافي قال: «علم الكلام هو البحث عن ذات الله وصفاته وأفعاله وعن أحوال المعاد بأدلة ممزوجة من العقل والشرع، بمقدمات مقبولة عند الجمهور، أو مسلمة عند الخصم»⁽²⁾.
3. وقد أورد الشهيد الثاني تعريفاً له فقال: «واعلم أنه علم إسلامي وضعه المتكلمون لمعرفة الصانع وصفاته العليا، وزعموا أن الطريق منحصر فيه وهو أقرب الطرق»⁽³⁾.
4. ومن التعريفات التي تنقل من طريق أهل السنّة ما عرفه ابن خلدون: «علم الكلام هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة، وسرّ هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد»⁽⁴⁾.
5. وكذلك عرّفه الجرجانيّ بأنّه: «علمٌ يُبحث فيه عن ذات الله تعالى، وصفاته،

(1) ابن ميثم البحراني، قواعد المرام في علم الكلام، تحقيق: الحسيني أحمد، لاد، قم، 1406هـ ط2، ص19-20. (بتصرف يسير)

(2) الغفار عبد الرسول، الكليني والكافي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1416هـ ط1، ص316.

(3) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، حقائق الإيمان (مع رسالتي الاقتصاد والعدالة)، تحقيق: الرجائي مهدي، مطبعة سيد الشهداء، قم، 1409هـ ط1، ص176.

(4) ابن خلدون، عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون، دار إحياء التراث، بيروت، لات، ط4، ج1، ص458.

وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام». وقد أدخل قيد «قانون الإسلام» لإخراج الفلسفة الإلهية من التعريف، فإنها تبحث عن ذلك معتمدة على القواعد العقلية الفلسفية.

يظهر من التعريفات التي أوردها العلماء لهذا العلم، أنها تدور حول ماهية واحدة له، وإن اختلفت تعبيراتهم والتي ربما يكون اختلافها ناشئاً من تعدد المشارب والاتجاهات الفكرية لهؤلاء العلماء. فعلم الكلام: «هو العلم الذي يبحث فيه عن إثبات أصول الدين الإسلامي بالأدلة المفيدة لليقين بها»⁽¹⁾.

ماهية علم الكلام

بناءً للتعريف الجامع لعلم الكلام، يمكن أن نقول أن علم الكلام يتوفر على بحث ودراسة مسائل العقيدة الإسلامية الحقّة بإيراد الأدلة وعرض الحجج على إثباتها، ومناقشة الأقوال والآراء المخالفة لها، ومحاكمة أدلة تلكم الأقوال والآراء، وإثبات بطلانها، ونقد الشبهات التي تثار حولها، ودفعها بالحجة والبرهان. فمثلاً: إذا أردنا أن نستدل على ثبوت وجود خالق لهذا الكون، وثبوت أنه واحد لا شريك له، نرجع إلى هذا العلم، وعن طريقه نتعرف الأدلة، التي يوردها علماء هذا العلم في هذا المجال. ذلك أن هذا العلم هو الذي يعرفنا الأدلة والبراهين والحجج العلمية التي باستخدامها نستطيع أن نثبت أصول الدين الإسلامي ونؤمن بها عن يقين. كما أنه هو الذي يعرفنا كيفية الاستدلال بها وكيفية إقامة البراهين الموصلة إلى نتائج يقينية. وهكذا إذا أردنا أن نعرف وجوب النبوة وصحة نبوة النبي، فإننا نعتمد إلى أدلة هذا العلم التي يستدل بها في هذا المجال، وندرسها، ثم نقيمها برهاناً على ذلك. وأيضاً إذا أردنا أن ننفي شبهة التجسيم عن الذات الإلهية، أو شبهة التفويض والجبر في أفعال العباد، نرجع إلى هذا العلم، وعن طريقه نستطيع معرفة ما يقال من نقد لإبطالها. ومثلها سائر مسائل وقضايا علم الكلام التي سنأتي على عرضها واستعراضها.

(1) الفضلي، الدكتور عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، لان، لام، لات، ص2.

ولا بد في الأدلة التي يستدل بها على إثبات أي أصل من أصول الدين، وأية مسألة أو قضية من مسائل هذا العلم وقضاياها من أن تكون مفيدة لليقين بالأصل أو المسألة أو القضية. فمثلاً: لو أقمنا الدليل على ثبوت (المعاد) لا بد في هذا الدليل من أن يؤدي إلى إثبات المعاد بشكل يدعونا إلى الاعتقاد الجازم والإيمان القاطع بثبوت المعاد، أي اليقين بمعاد الناس إلى الله -تعالى- ببعثهم من القبور وحشرهم في مشهد القيامة، وعرضهم للحساب، ومن بعد مجازاتهم بالثواب أو العقاب. ومن هنا قيد التعريف بـ (المفيدة لليقين بها)، والضمير في عبارة (بها) يعود إلى أصول الدين.

موضوع علم الكلام

من تعريف علم الكلام يتبين لنا موضوع العلم، وهو «أصول الدين»: وأصول الدين هي: التوحيد، العدل، النبوة، الإمامة، المعاد⁽¹⁾. وهو أيضاً ما يصطلح عليه أغلب علماء الكلام بأن موضوع علم الكلام هو ذات الله وصفاته وأسمائه وأفعاله، ولقد سميت موضوعات هذا العلم المذكورة في أعلاه بأصول الدين في مقابل الأحكام القائمة على أساس منها والمبتنية عليها التي تعرف بفروع الدين. وهذا التقسيم للدين إلى أصول وفروع مأخوذ من تقسيمهم الدين إلى معرفة وطاعة. ويعنون بالمعرفة: العقيدة، وبالطاعة: العمل.

ولأن العمل بطبيعته يقوم على المعرفة سميت مفاهيم وأحكام المعرفة بأصول الدين، ومفاهيم وأحكام الطاعة بفروع الدين. ونستطيع أن نتبين فحوى هذا التقسيم من فهمنا للدين بأنه توجيه لسلوك الإنسان في هذه الحياة.

والإنسان كائنٌ يخضع إلى بعدين في حياته: البعد الفطري، والبعد العملي. فأحكام الدين التي شرعت لتوجيه البعد النظري سميت بالمعرفة لأنها عقيدة. والعقيدة

(1) «موضوعات كتب أصول الدين في الأصل هي: إثبات الصانع وصفاته، ومسائل العدل، ثم النبوة والإمامة، والمعاد». المظفر، محمد حسن، دلائل الصدق لنهج الحق، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، دمشق، 1422هـ، ج1، ص22.

معرفة موطنها النظر (الفكر). وتلك التي شرعت لتوجيه البعد العملي سميت بالطاعة، لأنها عمل، والعمل طاعة. عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «الإيمان هو الإقرار باللسان وَعَقْدُ فِي الْقَلْبِ وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ»⁽¹⁾.

الحاجة إلى علم الكلام

تأتي الحاجة إلى دراسة هذا العلم وأمثاله مما يوصل إلى معرفة أصول الدين من وجوب معرفة أصول الدين على كل إنسان توافرت فيه شروط التكليف الشرعي والإلزام الديني. ووجوب النظر في قواعد العقائد ومعرفتها وجوب عقلي.

وخلاصة الدليل: هو أن يقال: إن الله -تعالى- منعم على الإنسان بنعمة الخلق والإيجاد. وشكر المنعم واجب عقلا، وذلك لأنه حسنٌ والعقلاء يمدحون فاعله، وكل فعل يستحق فاعله المدح من قبل العقلاء، ينبغي فعله. وشكره -تعالى- لا يتحقق إلا بإطاعته بامتثال أوامره ونواهيه. وتقدم أن الطاعة فرع المعرفة، إذن لا بد من المعرفة.

وقد أيدت وأكدت النصوص الشرعية هذا الوجوب، ومنها:

1 - قوله -تعالى-: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾⁽²⁾، ويتم الاستدلال بهذه الآية الكريمة بأن يقال: إن قوله تعالى (اعلم) فعل أمر والأمر المجرد من قرائن الاستحباب والجواز دال على الوجوب ف (اعلم) يدل على وجوب معرفة الألوهية، ومعرفة تفرد الله -تعالى- بها.

2 - قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾⁽³⁾، قال الشيخ الطوسي: «في هذه الآية دلالة على وجوب النظر والفكر، والاعتبار بما يشاهد من الخلق والاستدلال على الله تعالى، ومدح لمن كانت صفته هذه، ورد على من أنكر وجوب ذلك، وزعم أن الإيمان لا يكون

(1) الكليني، الشيخ محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق وتصحيح: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران، 1363ش، ط5، ج2، ص27.

(2) سورة محمد، الآية 19.

(3) سورة آل عمران، الآية 190.

إلا تقليدا وبالخبر، لأنه تعالى أخبر عما في خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار من الدلالات عليه وعلى وحدانيته»⁽¹⁾.

وقال الشيخ الطبرسي: «وقد اشتهرت الرواية عن النبي ﷺ، أنه لما نزلت هذه الآيات قال: ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأمل ما فيها»⁽²⁾.

وفي رواية الفاضل المقداد: «ويل لمن لاكها بين لحييه ثم لم يتدبرها»، وأوضح الفاضل المقداد الاستدلال على وجوب المعرفة بهذه الرواية، بقوله: «رتّب الذم على تقدير عدم تدبرها، أي عدم الاستدلال بما تضمنته الآية من ذكر الأجرام السماوية والأرضية، بما فيها من آثار الصنع والقدرة والعلم بذلك، الدالة على وجود صانعها وقدرته وعلمه، فيكون النظر والاستدلال واجبا، وهو المطلوب»⁽³⁾.

3 - قوله -تعالى-: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾⁽⁴⁾. تشير الآية الكريمة إلى أن الغاية من خلق السماوات والأرض هي: معرفة قدرة الله تعالى، ومعرفة علمه سبحانه. وبديهي أن هذه المعرفة لا تتأتى إلا بالتدبر والتأمل والتفكير فيهما. وإذا كانت الغاية من خلق السماوات والأرض هي معرفة الله تعالى كما تشير الآية، كانت معرفته أول الدين كما يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته: «أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له»⁽⁵⁾. ومن هنا كان التوحيد هو الأصل والأساس لسائر أصول الدين وجميع فروعه وشؤونه.

(1) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: قصير أحمد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1409هـ، ط1، ج3، ص79.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص470.

(3) السيوري، المقداد، النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، دار الأضواء، بيروت، 1996م، ط2، ص19.

(4) سورة الطلاق، الآية 12.

(5) المجلسي، العلامة باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، لبنان - بيروت، 1403هـ - 1983م، ط2، ج4، ص247.

المفاهيم الرئيسية

- علم الكلام هو العلم الذي يبحث فيه عن إثبات أصول الدين الإسلامي بالأدلة المفيدة لليقين بها.
- إنَّ مهمّة علم الكلام تتلخّص في البحث حول مسائل العقيدة الحقّة عبر إيراد الأدلّة والجمع، ومناقشة الآراء المخالفة وإبطالها.
- لا بدّ في الأدلّة التي يستدلّ بها على إثبات أي أصلٍ من أصول الدين أو أي قضية من قضايا هذا العلم أن تكون مفيدة لليقين.
- إنّ موضوع أصول الدين هو: التوحيد، العدل، النبوة، الإمامة، المعاد.
- من الأدلة على وجوب معرفة أصول الدّين هو دليل شكر المنعم.
- من الأدلة القرآنية على وجوب معرفة أصول الدّين، قوله -تعالى-: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

أسئلة الدرس

1. ما هو تعريف علم الكلام؟
2. ما هو موضوع علم الكلام؟
3. هل هناك حاجة لعلم الكلام؟ ولماذا؟
4. أعطِ دليلين على وجوب معرفة أصول الدين.

الدرس الثاني

أسماء علم الكلام وأسباب التسمية

أهداف الدرس

على المتعلم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يعدّد التسميات التي سمي علم الكلام بها.
2. يبيّن الوجه في تسمية هذا العلم بهذه التسميات.
3. يتعرّف إلى خصوصية تسمية هذا العلم بعلم «أصول الدين».

تمهيد

لقد ذُكرت لهذا العلم الباحث عن المسائل الاعتقاديّة عدّة أسماء. ونلاحظ أنّ كلّ تسميةٍ كان لها وجهها وسببها. ونحن سنذكر هذه التسميات مع وجوهها:

علم الكلام

وهو أشهر التسميات المتداولة لهذا العلم. وقد ذُكرت عدّة وجوه في سبب تسمية هذا العلم بعلم الكلام، نذكر منها:

1. إنّ العلماء المتقدّمين كانوا يُعَنونون فصول أبحاثهم بالكلام؛ فيقولون: كلامٌ في التوحيد، كلامٌ في القدرة، كلامٌ في النبوة، كلامٌ في العدل، وهكذا، فلمّا كثر لفظ الكلام في هذا النحو من أبحاثهم سُمّي بعلم الكلام.

2. إنّ من يدرس هذا العلم، ويتقنه ويستحضر قوانينه وأدلّته، يصبح ماهراً وبارعاً في النقاش والمجادلة وإفحام الخصم، وبعبارةٍ أخرى تصبح عنده قوّةٌ في الكلام مع الخصم في الأمور الاعتقاديّة والعقليّة والشرعيّة، فيسمّى متكلماً، لتضلّعه بهذا العلم.

3. إنّ قوّة أدلّة هذا العلم مع ملاحظة ما سيأتي في أنّ نشوء هذا العلم في الأوساط الإسلاميّة كان قبل الفلسفة صار كأنّه هو الكلام دون ما عداه من العلوم الأخرى، وتقول العرب للكلام القوي عندما تقارن بين كلامٍ ضعيفٍ وكلامٍ قويٍّ: هذا هو الكلام.

4. إنّ أشهر مسألةٍ بحث عنها هذا العلم، واختلفت فيها الآراء- لا سيما في القرن

الأول الهجري- هي معنى الكلام الإلهي، وهل أن الله متكلم؟ وهل أن كلامه قديمٌ أم حادثٌ؟ واشتدَّ النزاع كثيراً في هذه المسائل بالتحديد بين الفرق الإسلاميّة، حتّى كَفَر بعضهم بعضاً، وأريقَت دماءٌ كثيرة، بما هو معروفٌ في التاريخ باسم (محنة القرآن).

5. لأنَّ هذا العلم يبتنى على الأدلّة القطعيّة التي تفيد اليقين، فيكون أشدَّ تأثيراً في القلب، فكأنّه يجرح القلب ويدميه لشدّة تغلغله به، وعليه تكون هذه التسمية مشتقّةً من الكَلْم بسكون اللام أي الجرح.

6. لأنَّ مشايخ المعتزلة كانوا أصحاب قرائح خصبة، في نضدّ القريض، وارتجال الخطب الاعتقاديّة والمناظرة فيها، حتّى بلغوا الذروة في الفصاحة والبلاغة، فسُمّيت صناعتهم هذه بسبب أوصافهم وخصوصيّاتهم بالكلام، وسُمّوا هم بالمتكلمين.

7. هذا العلم أسبق من غيره في المرتبة، فالكلام فيه أسبق من الكلام في غيره، فكان أحقّ بهذا الاسم⁽¹⁾.

علم أصول الدين

والمراد بالدين هو مجموعة المفاهيم والأحكام والأخلاق التي تفرضها الشريعة على الإنسان. وهي لا تخلو في الغالب من مشقّة، ومن ترك ملدّة. والالتزام به لا بدّ أن يبتنى على حجةٍ ودليلٍ قاطعين. وإنّما سمي هذا العلم الذي نحن بصددّه بعلم أصول الدين، «لأنَّ العلوم الدينيّة من الفقه والحديث والتفسير مبنيّة عليه، لأنّها متوقّفة على صدق الرسول، المتوقّف على ثبوت المرسلِ وصفاته وامتناع القبيح عليه، وهذا العلم يبحث عن ذلك ... فلا جرم كان أصلاً للدين»⁽²⁾.

(1) راجع: الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد، المواقف، دار الباز، مكة المكرمة وشمس الدين، لات، لاط، ص9؛ محمد جعفر، دراسات في العقيدة الإسلاميّة، دار التعارف، بيروت، 1406هـ، ط3، ص20-21؛ الحلبي، العلامة الحسن بن يوسف، نهاية المرام في علم الكلام، تحقيق: عرفان فاضل، منشورات مؤسسة الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَام، قم، 1419هـ، ط1، ج1، ص8.

(2) الإحسائي، ابن أبي جمهور، كشف البراهين، تحقيق: وجيه بن محمد المسبّح، منشورات مؤسسة أمّ القرى، قم، 2001م، ط1، ص66-67.

علم العقائد

وهذه التسمية باعتبار أنّ هذا العلم يبحث عن العقائد التي يعتنقها الإنسان، وقد مرّ معنى العقيدة، فسُمّي هذا العلم باعتبار موضوعاته، وما يبحث عنه من مسائل وقضايا ترتبط بالمعتقد، والعلم بهذه القضايا علمٌ بالعقائد، فسُمّي بعلم العقائد.

علم التوحيد والصفات

ومن الجليّ جداً أنّ وجه التسمية بهذا الاسم هو أحد أبرز وأهمّ أبحاثه، وهو البحث عن توحيد الله سبحانه، وعن صفاته تعالى، فكانت التسمية للكُلِّ باسم الجزء، وهو متعارف جداً في لغة العرب.

الفقه الأكبر

الفقه في اللغة هو الفهم والمعرفة. وينبغي على الإنسان أن يعرف بالدرجة الأولى أمرين:

1. الأحكام العمليّة الفرعيّة: التي تضبط كلّ أعماله وتصرفاته، وهي ما يطلق عليها بالاصطلاح (الفقه).
2. المسائل الاعتقاديّة: حيث إنّ الأحكام العمليّة تُبنى على المسائل الاعتقاديّة، فكانت هذه المسائل أهمّ وأشرف. لذلك سمّيت الأحكام بالفقه الأصغر، وسمّيت المسائل الاعتقاديّة بالفقه الأكبر.

علم النظر والاستدلال

وقد سمّي هذا العلم بذلك؛ لأنّ عمدة مسأله، نحو: إثبات الصانع، وحكمته، ووحدانيته، وضرورة بعثة الأنبياء، وغيرها من المسائل، تعتمد على الأدلّة العقليّة، وهي بحاجة إلى نظرٍ وفكرٍ واستدلالٍ.

المفاهيم الرئيسية

- إن أشهر كلمة متعارفة لهذا العلم (علم العقيدة) هي تسمية «علم الكلام».
- من أهم أسباب تسمية هذا العلم بعلم الكلام، أن أشهر مسألة بحث عنها هذا العلم -ولا سيما في القرن الهجري الأوّل- هي مسألة الكلام الإلهي، ولذلك سمّوا هذا العلم بذلك الاسم.
- سمّي هذا العلم بعلم أصول الدين لأنّ العلوم الدّينية من الفقه والحديث والتفسير مبنية عليه.
- وسمّي هذا العلم بعلم العقائد لأنّه علمٌ يبحث عن العقائد الحقّة التي ينبغي أن يعتنقها الإنسان.
- وسمّي هذا العلم بعلم التوحيد والصفّات لأنّ أبرز المسائل التي يبحث فيها هي مسألة ذات الله تعالى ومسألة صفاته.

أسئلة الدرس

1. أذكر بعض أسماء علم الكلام.
2. لماذا سمّي هذا العلم بعلم بالكلام؟
3. ما هو وجه التسميّة بعلم أصول الدين؟
4. لماذا سمي هذا العلم بعلم العقائد؟

الدرس الثالث

أهمّية علم الكلام ومرتبته بين العلوم

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يبيّن أهمّية علم الكلام.
2. يشرح الوظائف البنائية والدفاعية لعلم الكلام.
3. يتبيّن شرف علم الكلام ومرتبته بين العلوم.

أهمية علم الكلام

تذكر عادةً في بداية كلِّ علم فائدته، لتعرف أهمية هذا العلم، فلا يغدو البحث فيه ترفاً فكرياً، ولا عبثاً جزافياً، ولتزداد الرغبة في تحصيله لكلِّ طالبٍ لتلك الفوائد المرجوة من ذلك العلم. وقد ذُكرت لعلم الكلام عدّة فوائد، يمكن إرجاعها في الجملة إلى فائدتين أساسيتين:

1. البنائية:

إنّ الاطلاع على علم الكلام، والتعرّف إلى أدلّته، تعطي الإنسان - لا سيما- المسلم فهماً إيمانياً عميقاً، وترتقي بمعتقداته - من أن تكون بسيطةً ساذجةً، أو يتخلّلها بعض الشبهات الطارئة - إلى مستوى الفكر والوعي والإدراك الصحيح، ليصبح ملماً بالأدلة القويّة، والحجج البالغة حول إثبات الصانع والتوحيد وصفات الله والنبوة والإمامة والعدل والمعاد وسائر المسائل الاعتقاديّة. وبالخصوص علم معرفة الله «وكيفيّة آثاره وأفعاله وتكاليفه على الإجمال. وذلك هو سبب السعادة الأبديّة، والخلاص من الشقاء الأبديّ، ولا غاية أهمّ من هذه الغاية»⁽¹⁾.

(1) الحلّي، نهاية المرام في علم الكلام، مصدر سابق، ج1، ص13.

2. الدفاعية:

لعلّ الدفاع عن العقيدة هي الفائدة الأساس المرجوة من هذا العلم، ولأجلها دَوّن علم الكلام، واتسعت مطالبه وما زالت كذلك حتّى عصرنا الحاضر. فنصرة العقيدة، والدفاع عن الدين الإسلاميّ الحنيف، والحفاظ على إيمان ومعتقدات المسلمين، والذود عنها برّد الشبهات، ورفع الإشكالات، ودفع الاعتراضات، تعتبر من أهم الفوائد والآثار لعلم الكلام. فلا يخلو عصرٌ من وجود أشخاصٍ يلقي الشيطان في أفئدتهم، وينفث على ألسنتهم، فيوجهون الشبهات العويصة حول الدين. ولا تكون هذه الشبهات إلا فتنةً للذين في قلوبهم مرضٌ، وللقاسية قلوبهم. وأمّا الذين آمنوا فيعلمون الحقّ ويدافعون عنه برّد هذه الشبهات ونسخ هذه الاعتراضات، حتّى تستحكم آيات الله وحججه. وقد كان علم الكلام أهمّ وأبرز العلوم الإسلاميّة التي أخذت على عاتقها ومسؤوليتها الدفاع عن الدين، وردّ الشبهات عنه.

3. تصحيح النية:

فمن خلال اطلاع المسلم على علم الكلام يستطيع تصحيح نيّته واعتقاده؛ إذ بالنيّة يُرجى قبول الأعمال، وبها ينال الفوز في الدارين.

4. تفرّع العلوم الشرعيّة على هذا العلم:

وقد اعتبرت فائدة مستقلة لعلم الكلام، ولما مرّ الكلام أنّ المفاهيم والأحكام والأخلاق تعدّ الفقه الأصغر، ولا يمكن التعويل عليها لولا تأسيس القواعد، والبناء على الفقه الأكبر وهو علم الكلام.

5. بناء قواعد الدين:

وهي في الحقيقة متفرّعة على الفائدة الأولى؛ حيث إنّ من خلال الدفاع عن الدين، وردّ الشبهات، تتبلور القواعد الأساس لهذا الدين، وتتجلّى أسسه وأصوله، التي عليها يبنى، ومن خلالها يتمّ الدفاع، وبها تتمّ الحجّة.

6 - إرشاد المسترشدين:

فإنّه بهذا العلم تظهر لهم الحجّة، وتلزم المعاند وتفحمه، وتردّ الشبه، وبذلك يسترشد طالب الهداية، ولا يبقى له عذرٌ أمام الله بأنّه لم يظهر له الحقّ، أو أنّه لم يطّلع على ما يفيد العلم واليقين في المعتقد⁽¹⁾.

شرف علم الكلام

من خلال الاطلاع على أهميّة هذا العلم، والفائدة المرجوة منه، وأهمّ المسائل التي يتعرّض لها بالإثبات بالأدلة القاطعة، أو بالدفاع عنها بالحجج البالغة، يظهر شرف هذا العلم، وعلوّ شأنه. وقد ذكرت عدّة وجوهٍ في شرف هذا العلم نذكر منها:

1. شرف العلم تابع لشرف المعلوم:

أي شرف المسائل التي يتعرّض لها بالبحث والتنقيب. وقد تقدّم أنّ الغرض الأهم والأساس في هذا العلم هو معرفة العقيدة. وأوّل العقائد معرفة الله - سبحانه وتعالى -، وصفاته وكيفية أفعاله وتأثيراته، ومن ثمّ البحث عن رسله وأوصيائهم، وأحوال النفس والمعاد. وهذه أشرف المطالب فواجب الوجود أشرف الموجودات، فالعلم به أشرف العلوم.

2. براهين العلم أوثق البراهين:

«إنّ مقدمات العلوم قد تكون قطعيّة، وقد تكون ظنيّة، ويحصل بالأوّل اليقين، وبالثاني الظنّ، والأوّل أشرف. ومقدمات هذا الفنّ قطعيّة يقينيّة، إمّا بديهية أو كسبية راجعة إليها، فتكون براهينه أوثق من غيره، فيكون أشرف»⁽²⁾.

3. التعرف إلى مطالب السعادة:

إنّ الإنسان خلق لا كغيره من الحيوانات، حيث إنّه جعل محلاً لخطاب الله

(1) راجع: الإيجي، المواقف، مصدر سابق، ص8. (ذكر في المقصد الثالث خمس فوائد).

(2) العلامة الحلّي، نهاية المرام في علم الكلام، مصدر سابق، ج1، ص7.

جلّ وعلا-، وتكليفه بالأوامر والنواهي، وما ذلك إلا لينال السعادة الأخروية والفوز والرضوان، «وهذه أعظم الأمور وأجلّ المطالب، ولا تحصل هذه إلا من خلال الإيمان بالله تعالى ورسله وأوصيائهم، والإيمان باليوم الآخر، والتعرّف على هذه الأمور لا يكون إلا عبر هذا العلم، فهو إذاً أشرف العلوم»⁽¹⁾.

4. احتياج العلوم الدينية لهذا العلم:

فإن العلوم الدينية كلّها متفرّعة على هذا العلم، ولا يمكن البناء عليها لو لم يثبت بدواً الصانع، وقدرته وعلمه، ليصحّ بالتالي التكليف، ويتيسّر للفقهاء والمحدّث والمفسّر للكتاب العزيز وغيرهم من أصحاب العلوم الإسلامية الخوض في مجالات علومهم. فبقية العلوم إذاً تحتاج إلى هذا العلم، بينما هو لا يحتاج إلى شيءٍ منها، فهو أشرف منها.

5. بقاء أثره بعد الموت:

إنّ المعتقد لازم للإنسان، لا يفارقه «ويبقى مع النفس بعد الموت، ويبقى أثره في الآخرة، بل يقوى ويكمل، ويصير يوم القيامة ضرورياً، فكان (أي علم الكلام) أشرف العلوم وأفضلها»⁽²⁾.

وقد ذكر جلّ هذه الأسباب صاحب المواقف بعبارةٍ مختصرةٍ ووافية⁽³⁾. كما وذكرها العلامة الحلّي في نهاية المرام⁽⁴⁾.

مرتبته بين العلوم

بعد أن تبينّت فائدة هذا العلم، وشرفه، وموضوعه، أصبحت منزلة هذا العلم بين العلوم واضحة جداً، وأنّه لا بدّ أن يكون مقدّماً على سائر العلوم، وسابقاً عليها. وقد ذكر العلامة الحلّي منزلته بما نصّه:

(1) العلامة الحلّي، نهاية المرام في علم الكلام، مصدر سابق، ج1، ص7. (بتصرّف).

(2) الإحسائي، ابن أبي جمهور، مصدر سابق، كشف البراهين، ص69.

(3) الإيجي، المواقف، مصدر سابق، ص8.

(4) راجع: العلامة الحلّي، نهاية المرام في علم الكلام، مصدر سابق، ج1، ص13.

«إنّ مبادئ سائر العلوم إنّما تتبيّن فيه. ومعرفة ذي المبدأ متوقّفة على معرفة المبدأ. فلهذا العلم تقدّم بهذا الاعتبار على غيره من سائر العلوم. ولأنّ سبب النجاة إنّما هو معرفة هذا العلم، وهذه الغاية أكمل من كلّ غاية، فلهذا العلم تقدّم على غيره بحسب غايته. ولأنّ معلومه أشرف من كلّ معلومٍ وجب تقدّمه على جميع العلوم»⁽¹⁾.

(1) راجع: العلامة الحلي، نهاية المرام في علم الكلام، ج1، ص13.

المفاهيم الرئيسية

- المهمة الأولى لعلم الكلام هي دفاعية وهي نصره العقيدة، والدفاع عن الدين الإسلامي الحنيف.
- المهمة الثانية لعلم الكلام تنويرية، لأن الاطلاع على علم الكلام، والتعرّف إلى أدلته، يرفعان من مستوى الفهم الإيماني للإنسان المسلم بعيداً عن الاعتقاد الأولي الساذج.
- يظهر شرف علم الكلام من خلال الاطلاع على أهميّة هذا العلم، والفائدة المرجوة منه، وأهمّ المسائل التي يتعرّض لها بالإثبات بالأدلة القاطعة، أو بالدفاع عنها بالحجج البالغة.
- من فوائد علم الكلام، تصحيح النية التي هي ركنٌ أساسٌ يرجى بها قبول الأعمال.
- ومن فوائد دراسة علم الكلام أنّه تُبنى عليه باقي المفاهيم والأحكام الشرعية التي تعدّ الفقه الأصغر، مقابل علم الكلام الذي يُعدّ الفقه الأكبر.

أسئلة الدرس

1. ما هي الغاية من علم الكلام؟
2. عدّد وجوه شرف هذا العلم وتحدّث عن واحد منها.
3. هل تحتاج العلوم الدينية لهذا العلم؟ ولماذا؟
4. تحدّث عن مرتبته بين العلوم.

الدرس الرابع

ضرورة علم الكلام

أهداف الدرس

على المتعلم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يميّز بين علم الكلام والفلسفة.
2. يشرح شبهة تحريم علم الكلام والرد عليها.
3. يتعرّف إلى ضرورة علم الكلام.

الفرق بين علم الكلام والفلسفة

بعد ملاحظة تعريف علم الكلام نجد أنّ هناك مجموعةً من العقائد والمباحث الثابتة في الدين، يعتنقها عالم الكلام (المتكلم)، ويقوم بدور تثبيتها بالأدلة والدفاع عنها قبال كلّ من يحاول هدمها أو التشكيك فيها. فهناك إذاً مجموعةً من الحقائق المقدّسة تكون هي المحور وهي الأساس. وقد جعلت هي المعيار لصحة أيّ فكرةٍ تطرح. وعلى أساس هذا المعيار يُدخلونها في الدين أو يُخرجونها عنه.

بينما نجد الفيلسوف لا يعتنق أيّ فكرةٍ مسبقة، وليس عنده شيءٌ مقدّسٌ قبل دخوله بالبحث الفلسفيّ. فهو يدخل في البحث مجرداً عن أيّ مقدّس سابق، وعن أيّ عقيدةٍ قَبليّةٍ. وليس بيده غير البرهان العقليّ والمنطقيّ الذي يعتمد على المقدمات اليقينيّة لا الظنيّة. وهذا البرهان هو المعيار والفيلق عنده.

وبعبارةٍ أخرى: إنّ المتكلم يحاول إخضاع البرهان العقليّ والمنطقيّ لما يعتقد أنّه حقّ، وأنّه مقدّس، أي لعقيدته. فالبرهان متأخّر عنده عن العقيدة، بينما الفيلسوف لا يعتقد قبل البرهان، بل يبرهن ثمّ يعتقد، حتّى لو لم تكن نتيجة البرهان متّفكّةً مع أهوائه وميوله.

ولعلّ هذا هو الفارق الأساس بين المتكلم والفيلسوف، ومنه يعرف الفارق بين علم الكلام والفلسفة، فالأول عقيدةٌ ثابتةٌ يُبحث عن براهينها، والثاني براهين تثبت عقيدةً⁽¹⁾. قال العلامة الطباطبائي: «القياسات المأخوذة في الأبحاث الكلاميّة جدليّة مركّبة

(1) راجع: شمس الدين، محمّد جعفر، دراسات في العقيدة الإسلاميّة، لان، لام، لات، لا، ط، ص 23.

من مقدّمات مسلمة: (المشهورات والمسلمات)⁽¹⁾، لكون الاستدلال بها على مسائل مسلمة، وما أخذ في الأبحاث الفلسفية منها قياسات برهانية، يراد بها إثبات ما هو الحق، لا إثبات ما سلّم ثبوتها تسليماً⁽²⁾.

وذكر في نفس البحث قبل أسطر: «إنّ الفلسفة تبحث بحثاً حقيقياً، وتبرهن على مسائل مسلمة، بمقدّمات يقينية. والكلام يبحث بحثاً أعمّ من الحقيقي والاعتباري، ويستدل على مسائل موضوعة مسلمة بمقدّمات هي أعمّ من اليقينية والمسلمة، فيبين الفئتين أبعد ممّا بين السماء والأرض»⁽³⁾.

شبهة حرمة علم الكلام

لقد جاء في بعض الروايات النهي عن الخوض في المجادلات العقائدية. وفي بعضها ورد النهي عن الخوض في ذات الله - سبحانه وتعالى⁽⁴⁾. فتمسك البعض بهذا النوع من الروايات ليتبنّى فكرة حرمة علم الكلام، وأنّه ورد النهي عن الخوض في أهمّ مواضيعه. عن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: سمعته يقول: «لا يخاصم إلاّ رجل ليس له ورع أو رجل شاك»⁽⁵⁾.

(1) «المشهورات»: وتسمى «الذائعات» أيضاً. وهي قضايا اشتهرت بين الناس وذاع التصديق بها عند جميع العقلاء أو أكثرهم أو طائفة خاصة. والمسلمات: وهي قضايا حصل التسالم بينك وبين غيرك على التسليم بأنها صادقة، سواء كانت صادقة في نفس الأمر، أو كاذبة كذلك، أو مشكوكة. والطرف الآخر إن كان خصماً فإن استعمال المسلمات في القياس معه يراد به إفحامه. وإن كان مسترشداً فإنه يراد به إرشاده وإقناعه ليحصل له الاعتقاد بالحق بأقرب طريق عندما لا يكون مستعداً لتلقي البرهان وفهمه" (المنطق، للشيخ المظفر، ص 340-352).

(2) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير الميزان، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية، قم المقدّسة، 1985م، ط1.

(3) المصدر نفسه، ص 260.

(4) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا انتهى الكلام إلى الله فامسكوا، وتكلّموا فيما دون العرش ولا تكلّموا فيما فوق العرش، فإنّ قوماً تكلّموا فيما فوق العرش فتاهت عقولهم، حتّى كان الرجل ينادي من بين يديه فيجيب من خلفه، وينادي من خلفه فيجيب من بين يديه». والتكلم فيما فوق العرش كناية عن التفكير في كنه ذاته وصفاته - تعالى-. العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 3، ص 261.

(5) الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، تصحيح وتعليق: هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرّسين في قم المقدّسة، قم، ط1، ص 458.

قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «يهلك أصحاب الكلام، وينجو المسلمون. إنَّ المسلمين هم النجباء»⁽¹⁾.

والصحيح أنَّ فهم هذا النوع من الروايات بأنَّها تنهى عن علم الكلام خاطئ⁽²⁾، وهو ناتج عن عدم التدبُّر فيها، وعن عدم مراجعة سائر كلماتهم عليهم السلام. فإنَّ للنهي المذكور وجوهاً واحتمالات يمكن أن يحمل عليها:

1. لطائفة خاصة:

وهي التي لا تحسن الأسس المتينة لعلم الكلام، ولا تدرك أصول الدين وأدلته بشكل محكم وقويّ. فورد النهي خوفاً عليهم من الضلال والانحراف وعدم إظهار الحجج الثابتة للخصم، وحرصاً عليهم، وخشية انحرافهم، وهذا لا يعني حرمة علم الكلام.

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «أنَّه نهى رجلاً عن الكلام وأمر آخر به، فقال له بعض أصحابه: جعلت فداك، نهيت فلاناً عن الكلام وأمرت هذا به؟ فقال: هذا أبصر بالحجج، وأرفق منه»⁽³⁾.

قال الشيخ المفيد في ذيل هذه الرواية: «ثبت أنَّ نهي الصادقين عليهم السلام عن الكلام إنّما كان لطائفة بعينها، لا تحسنه ولا تهتدي إلى طريقه، وكان الكلام يفسدها، والأمر لطائفة أخرى به، لأنها تحسنه وتعرف طريقه وسبله»⁽⁴⁾.

2. النهي كان عن إثبات أصول غير حقّة:

فإنَّ الأصول الحقّة عند أهل البيت والعصمة عليهم السلام فحسب. فعن يونس بن

(1) الصدوق، التوحيد، مصدر سابق، ص458.

(2) الشهيد الثاني، حقائق الإيمان، مصدر سابق، ص178.

(3) المفيد، محمد بن محمد النعمان، تصحيح اعتقادات الإمامية، تحقيق: حسين دركاهي، منشورات دار المفيد

للطباعة والنشر، بيروت، 1414هـ، ط2، ص71.

(4) المصدر نفسه.

يعقوب قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «جعلتُ فداك؛ إنِّي سمعتُك تنهى عن الكلام وتقول: ويلٌ لأصحاب الكلام يقولون هذا ينقاد وهذا لا ينقاد، وهذا ينساق وهذا لا ينساق، وهذا نعقله وهذا لا نعقله، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنَّما قلت: فويلٌ لهم إن تركوا ما أقول وذهبوا إلى ما يريدون»⁽¹⁾. وفي روايةٍ أخرى: «ثمَّ دعا حمران بن أعين ومحمَّد بن الطَّيار، وهشام بن سالم، وقيس الماصر، فتكلَّموا بحضرته، وتكلَّم هشام بعدهم. فأثنى عليه ومدحه وقال له: مثلك من يكلم الناس»⁽²⁾.

3 - النهي عن تشبيه الله بخلقه وتجسيده:

قال الشيخ المفيد: «فأمَّا النهي عن الكلام في الله عزَّ وجلَّ؛ فإنَّما يختصُّ بالنهي عن الكلام في تشبيهه بخلقه وتجويره في حكمه. وأمَّا الكلام في توحيده ونفي التشبيه عنه والتنزيه له والتقدیس، فأمور به ومرغَّب فيه. وقد جاءت بذلك آثارٌ كثيرةٌ وأخبارٌ متظافرةٌ»⁽³⁾.

كيف، وقد حثَّ الإمام أمير المؤمنين وسائر الأئمة عليهم السلام على تحصيل معرفة الله، وكمال المعرفة بالتوحيد والفهم الصحيح للصفات الإلهية. ففي نهج البلاغة: «أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه»⁽⁴⁾.

وجوب معرفة علم الكلام

بعد أن ظهر الردُّ على شبهة تحريم علم الكلام، يمكن الدعوى أنَّ هذا العلم واجبٌ التعلُّم، وضروريُّ التحصيل، ولو بمقدار معرفة الله من خلال الدليل، لا من خلال

(1) الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج1، ص171.

(2) المفيد، تصحيح اعتقادات الإمامية، مصدر سابق، ص71.

(3) المصدر نفسه، ص72.

(4) نهج البلاغة، شرح: عبده محمد، دار الذخائر، قم، 1412هـ الخطبة 1، ط1، ج1، ص15.

التقليد، ومعرفة بعض الصفات، والرسول والرسالة والإمام والمعاد، فإن هذه الأمور وغير ذلك من الأمور التي يجب تحصيلها ومعرفتها على كل مكلفٍ وجوباً عينياً، لا تكون في الغالب إلا بهذا العلم. فوجوب هذا العلم ضروري لمن يريد المعرفة بهذه الأمور بالدليل البرهان.

قال العلامة الحلبي: «... إن معرفة الله -تعالى- واجبة، وكذا معرفة صفاته، وما يجب له ويستحيل عليه. ولا تتم هذه المعرفة إلا بهذا العلم؛ لأنه المتكفل بذلك، وما لا يتم الواجب المطلق إلا به فهو واجب على ما يأتي.

وأيضاً قوله -تعالى-: ﴿قُلِ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁽¹⁾.

وقوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾⁽²⁾.

وقوله: ﴿أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾⁽³⁾، إلى غير ذلك من الآيات الدالة عليه.

وكذا ما ورد من الآيات الدالة على النهي عن التقليد وذمه. ولا خلاف بين العقلاء في ذلك.

والواجب على قسمين: إما على الأعيان أو على الكفاية. ووجوب هذا العلم على الأعيان، للنهي عن التقليد في العقائد.

واعلم أن القدر الواجب على الأعيان من هذا العلم، هو معرفة الله تعالى بالدليل، ومعرفة ما يجب معرفته من صفاته الثبوتية والسلبية، ومعرفة آثاره التي تتوقف عليها بعثة الرسل، ومعرفة الرسل وصدق الأنبياء، ومعرفة المعاد، والإمام. ولا يجب تتبع الجواب عن الشبهات، ومقاومة الخصوم على الأعيان، بل ذلك واجب على الكفاية⁽⁴⁾.

(1) سورة يونس، الآية 101.

(2) سورة محمد، الآية 19.

(3) سورة الروم، الآية 8.

(4) الحلبي، نهاية المرام في علم الكلام، مصدر سابق، ج1، ص15.

المفاهيم الرئيسية

- يفترق علم الكلام عن الفلسفة، بأنّ المتكلم يعتقد بدين وفكر سابقين يقوم بدور الدفاع عنهما بالمنطق والبرهان، بينما نجد الفيلسوف لا يعتنق أيّ فكرة مسبقة ويدخل البحث مستعيناً بالبرهان.
- يحاول المتكلم إخضاع البرهان العقلي والمنطقي لما يعتقد أنّه حقّ. فالبرهان متأخّر رتبةً عن اعتقاده. والفيلسوف على العكس من ذلك.
- إنّ الفارق بين المتكلم والفيلسوف يمثّل في جوهره الفارق بين علم الكلام والفلسفة، فالأول عقيدة يُبحث به عن براهينها، والثاني براهين تثبت عقيدةً.
- لقد وددت بعض الروايات في النهي عن الخوض في ذات الله - سبحانه-، فتمسك بها البعض لتبني فكرة حرمة علم الكلام، وهي شبهة ينبغي التدبّر فيها.
- قد يُحمل النهي عن الكلام أنّه موجّه لطائفة خاصّة من الناس لا تُحسن الخوض فيه وقد يجرّها ذلك إلى الانحراف.
- وقد يُحمل النهي عن الكلام على النهي عن اتّباع غير سبيل الحقّ والعقائد التي يقرّها أهل البيت عليهم السلام.

أسئلة الدرس

1. ما الفارق بين الفيلسوف والمتكلم؟
2. ما الفرق بين الفلسفة وعلم الكلام؟
3. كيف توجّه الروايات الناهية عن علم الكلام؟
4. هل يجب تعلّم علم الكلام؟ ولماذا؟

الدرس الخامس

نشأة علم الكلام (1)

أهداف الدرس

على المتعلم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرف إلى وجود عوامل داخلية وخارجية لنشأة علم الكلام.
2. يتبين دور العوامل الداخلية لنشأة علم الكلام.
3. يشرح أهمية دور أهل البيت عليهم السلام في نشأة علم الكلام.

نشأة علم الكلام⁽¹⁾

إنَّ علم الكلام كسائر العلوم الإنسانيَّة، ظاهرةٌ فكريَّةٌ وعلميَّةٌ نشأت بين المسلمين لأسبابٍ وظروفٍ وعواملٍ عدَّةٍ، تأتي إن شاء الله -تعالى-. وما يهْمُنَا هو علم الكلام الإسلامي، وإن كانت ظاهرة هذا العلم موجودةً في الديانات الأخرى، في مدارس الديانة المسيحيَّة واليهوديَّة، وقد أُلِّفَ غير واحدٍ من علماء هذه الديانات كتباً كلاميَّةً. لكن ما يهْمُنَا من هذا البحث خصوص الكلام في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

عوامل نشأة علم الكلام

يمكن تلخيص عوامل نشأة علم الكلام بين المسلمين في عدَّة عواملٍ داخليَّةٍ وأخرى خارجيَّةٍ. وفي هذا الدرس سوف نتحدث عن العوامل الداخلية والتي نذكر منها:

1. دور القرآن الكريم

إنَّ القرآن المجيد هو المنطلق الأوَّل لنشوء علم الكلام ونضجه وارتقائه عند المسلمين، وإليه يرجع كل متكلِّمٍ إسلاميٍّ باحثٍ عن المبدأ وأسمائه وصفاته وأفعاله. وقد تضمَّن القرآن إشاراتٍ فلسفيَّةً وعقليَّةً، قامت على أُسسٍ منطقيَّةٍ مذكورةٍ في نفس الآيات، أو معلومةٍ من القرائن. فمن سبر القرآن الكريم فيما يرجع إلى التوحيد بأنواعه، يجد الحجج

(1) الدرس مقتبس بتامه من مقدمة الشيخ جعفر السبحاني على كتاب نهاية المرام في علم الكلام للعلامة الحلبي، انظر ص 5-10.

الملزمة، والبيّنات المسلّمة، التي لا تدع لباحثٍ الشك فيها. كما أنّه أرفق الدعوة إلى المعاد والحياة الأخرويّة بالبراهين المشرقة، والدلائل الواضحة التي لا تقبل الخدش. كذلك فإنّ القصص الواردة في القرآن الكريم تتضمّن احتجاجات الأنبياء ﷺ وصراعهم الفكريّ مع الوثنيين والمعاندين من أهل اللجاج، وهي ممّا يستند إليها المتكلّم في آرائه الكلاميّة. كما تتضمّن بحوثاً في الإنسان وأفعاله ومسيره ومصيره، وغير ذلك... ممّا جعل القرآن الكريم المنطلق الأوّل لنشأة علم الكلام في الإسلام، والمادة الأولى الخصبة والحية التي يرجع إليها المتكلّم في استدلالته ونقاشاته، والتي كانت سبباً أيضاً لنشوء أسئلةٍ جمّةٍ لدى بعض المسلمين الأوائل.

2 - تأثير أحاديث الرسول ﷺ ومناظراته

ناظرَ النبيّ ﷺ المشركين وأهل الكتاب بمرأى ومسمع من المسلمين. وهذه احتجاجاته مع نصارى نجران في العام العاشر من الهجرة، حتّى أنّه ﷺ، بعدما أفحمهم، دعاهم إلى المباهلة. وقد حفل التاريخ وكتب السّير والتفسير بما دار بين الرسول ﷺ وبطاركة نجران وقساوستهم. وقد استدلّوا على ألوهيّة المسيح ﷺ بقولهم: هل رأيت ولداً من غير ذكر؟ فأفحمهم رسول الله ﷺ بإيحاء من الله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾⁽¹⁾. لكنّ النهي عن كتابة الحديث⁽²⁾ أدّى إلى ضياع الكثير من احتجاجات النبيّ ﷺ ومناظراته مع المشركين وأهل الكتاب، فذهبت كذهاب سائر خطبه. ولكن الشيعة اقتداءً بالعترة احتفظت بكثير من هذه المناظرات في كتبهم الحديثية، فمن سبرها يرى فيها بحوثاً ومناظرات تصلح لأن تكون هي المنطلق في الصدر الأوّل لأهل الكلام من الشيعة وغيرهم .

(1) سورة آل عمران، الآية 59.

(2) إن سياسة منع تدوين الحديث مرّت بثلاث مراحل:

الأولى: فترة أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب.

الثانية: فترة من سار على نهجهما، كعثمان ومعاوية .

الثالثة: فترة الحكم الأموي بعد معاوية وحتى عصر التدوين الحكومي. (انظر للتفصيل: كتاب منع تدوين

الحديث، السيد علي الشهرستاني)

3 - خطب الإمام علي عليه السلام

إنَّ خطب الإمام علي عليه السلام ورسائله وكلماته القصار، التي حفظها التاريخ عن العصف والضياع، لأوضح دليل على أنَّ الإمام عليه السلام كان هو المؤسس للأصول الكلامية، خصوصاً فيما يرجع إلى التوحيد والعدل. وبملاحظة نهج البلاغة، الذي جمعه الشريف الرضي ممَّا وصل إليه من خطبه، يتراءى من الأصول الكلامية ما لا يظهر في غيره، وإلى ذلك يشير السيّد المرتضى في أماليه فيقول: «اعلم أنَّ أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام وخطبه، فإنها تتضمن من ذلك ما لا زيادة عليه ولا غاية وراءه. ومن تأمل المأثور من كلامه، علم أنَّ جميع ما أسهب المتكلمون من بعده في تصنيفه وجمعه إنما هو تفصيل لتلك الجمل وشرح لتلك الأصول. وروي عن الأئمة عليهم السلام من أبنائه عليه السلام في ذلك ما لا يكاد يحاط به كثرة، ومن أحبَّ الوقوف عليه فطلبه من مظانِّه أصاب منه الكثير الغزير الذي في بعضه شفاء للصدور السقيمة ولقاح للعقول العقيمة»⁽¹⁾.

وقال ابن أبي الحديد: «إنَّ أشرف العلوم هو العلم الإلهي، لأنَّ شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه أشرف الموجودات، فكان هو أشرف. ومن كلامه عليه السلام اقتبس، وعنه نُقل، ومنه ابتدئ وإليه انتهي. فإنَّ المعتزلة، الذين هم أصل التوحيد والعدل وأرباب النظر ومنهم تعلَّم الناس هذا الفنَّ، تلامذته وأصحابه، لأنَّ كبيرهم «واصل بن عطاء» تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمَّد بن الحنفية وأبو هاشم تلميذ أبيه وأبوه تلميذه. وأمَّا الأشعرية فإنَّهم ينتمون إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعريِّ وهو تلميذ أبي علي الجبائي، وأبو علي أحد مشايخ المعتزلة فالأشعرية ينتهون بالآخرة إلى أستاذ المعتزلة ومعلِّمهم، وهو علي بن أبي طالب»⁽²⁾.

(1) المرتضى، علم الهدى، الأمالي، تصحيح وتعليق: النعساني الحلبي محمد بدر الدين، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، لا ب، 1325 هـ ط1، ج1، ص103.

(2) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، 1378 هـ ش، ط1، ج1، ص17.

4 - خطب معارف العترة الطاهرة عليهم السلام

لقد أُتيحت الفرصة للعترة الطاهرة عليهم السلام في آخر عهد الأمويين وأوائل حكومة العباسيين، في شرح المعارف وتوضيح الحقائق وتربية رواد الفكر، وإرشاد الحكيم إلى دلائل وبراهين لا يقف عليها إلا الأوحدي من الناس، والتلميح إلى نكات عرفانية، لا يدركها إلا العارف المتأله.

ففي أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام إشارات كلامية وتلميحات عرفانية. كما أن في الأحاديث المروية عن الصادقين والكاظمين عليهم السلام كمية هائلة من البحوث الكلامية، والمناظرات العلمية التي أدت إلى نضوج علم الكلام الإسلامي بوجه واضح، وكنموذج نذكر هذه المحاججة: محاججة الإمام الرضا عليه السلام مع أبي قرّة:

فعن صفوان بن يحيى قال: «سألني أبو قرّة المحدث أن أدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام، فاستأذنته في ذلك فأذن لي، فدخل عليه فسأله عن الحلال والحرام والأحكام، حتى بلغ سؤاله إلى التوحيد فقال أبو قرّة للإمام الرضا عليه السلام: إنا روينا أن الله - عز وجل - قسم الرؤية والكلام بين اثنين، فقسّم لموسى عليه السلام الكلام، ولمحمد صلى الله عليه وآله الرؤية.

«فقال أبو الحسن عليه السلام: فمن المبلغ عن الله - عز وجل - إلى الثقلين:

﴿الْحَيُّ وَالْإِنْسِ﴾⁽¹⁾. ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾⁽²⁾ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾⁽³⁾

و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ﴾⁽⁴⁾ أليس محمداً صلى الله عليه وآله؟

قال: بلى.

(1) سورة الأنعام، الآية 130.

(2) السورة نفسها، الآية 103.

(3) سورة طه، الآية 110.

(4) سورة الشورى، الآية 11.

قال: فكيف يجيء رجلٌ إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنه جاء من عند الله، وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله ويقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ثم يقول: أنا رأيتُه بعيني، وأحطت به علماً، وهو على صورة البشر! أما تستحيون، ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا: أن يكون يأتي عن الله بشيء، ثم يأتي بخلافه من وجهٍ آخر»⁽¹⁾.

ومن وقف على كتب أهل الحديث والأشاعرة، يقف على أن لهم في إثبات الرؤية، صخباً وهياجاً وإصراراً منقطع النظر، وترى كيف أن الإمام قطع الطريق على أبي قرّة الذي اغترّ بأحاديث مدسوسة اختلقها اليهود وأنصارهم وبثوها بين المسلمين.

(1) الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج1، ص96.

المفاهيم الرئيسية

- هناك نوعان من العوامل التي ساهمت في نشأة علم الكلام: العوامل الداخلية، والعوامل الخارجية.
- المقصود من العوامل الداخلية لنشأة علم الكلام، جملة من العناصر التي ساهمت في تأسيس الدين الإسلامي، ومنها: القرآن الكريم، السنة النبوية الشريفة، أهل البيت عليهم السلام.
- إن دور القرآن الكريم في شأن علم الكلام يتجلى في احتوائه على أصول المسائل الاعتقادية التي ينبغي أن ينطلق منها كل باحث، ويعود إليها.
- إن دور السنة النبوية الشريفة يتجلى في العديد من المناظرات والتأسيسات العقائدية التي أشرف النبي ﷺ على بنائها وترسيخها انطلاقاً من القرآن الكريم والوحي الإلهي.
- لقد قام أمير المؤمنين عليه السلام بدور هام جداً في تنقيح الأصول الكلامية خصوصاً ما هو موجود في نهج البلاغة.

أسئلة الدرس

1. عدد ثلاثة من الأسباب الداخلية التي ساعدت على نشوء علم الكلام.
2. اشرح دور القرآن الكريم في نشأة علم الكلام؟
3. بين أهمية دور النبي ﷺ في نشأة علم الكلام؟
4. اشرح باختصار دور الإمام علي عليه السلام في نشأة علم الكلام؟

الدرس السادس

نشأة علم الكلام (2)

أهداف الدرس

على المتعلم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى وجود أسبابٍ خارجية في نشأة علم الكلام.
2. يشرح أثر الاحتكاك الثقافي مع الشعوب الأخرى.
3. يتعرّف إلى بدايات المسائل الكلامية في الإسلام.

العوامل الخارجية لنشأة علم الكلام⁽¹⁾

بعد الحديث عن العوامل الداخلية التي أدت إلى نشوء علم الكلام نتحدث عن العامل الثاني الذي ساعد على نشوء هذا العلم والمتمثل بالعوامل الخارجية.

1. الاحتكاك الثقافي واللقاء الحضاري

كان للاحتكاك الثقافي واللقاء الحضاري دورٌ خاصٌ في مجال نشوء علم الكلام. فقد دفع عجلة هذا العلم إلى الأمام، وصار سبباً لنموه ونضوجه بين المسلمين بأقصر مدّة. ولولا هذا الصراع الفكري لما نمت تلك البذور الطيبة الكامنة في الكتاب والسنة، وما استوت على سوقها. والعمالان (الداخلي والخارجي) وإن صارا سبباً لنشوء هذا العلم وتكامله إلا أنّ دور الأوّل، يخالف دور الثاني. فالأوّل يعدّ مصدر علم الكلام ومنبعه ومنشأه، أمّا الثاني، فهو الذي أيقظ المفكرين من المسلمين حتّى ينمّوا ما تعلموه في مدرسة الدين من الأصول والعقائد.

بيان العامل الخارجي:

بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ بدينٍ عالميٍّ، ونبوّةٍ خاتمةٍ، وكتابٍ خاتمٍ للكتب، ومهيمنٍ عليها، وبثّ شريعته الغراء في ربوع الجزيرة العربيّة في بضع سنين، إلى أن مضى إلى جوار ربّه، وراية الإسلام خفاقةً عاليةً، يدين أهلها بالتوحيد، ويكافحون الثنوية، ويؤمنون بالحياة الأخروية ويعملون بسنن الإسلام وطقوسه.

(1) هذا الدرس مقتبس بتمامه من مقدمة الشيخ جعفر السبحاني على كتاب نهاية المرام في علم الكلام للعلامة الحليّ، انظر ص 11-16.

وقد أحسَّ المسلمون بواجبهم بعد رحيله ﷺ، وهو نشر الإسلام وبسطه في العالم كله ودعوة جميع البشر على مختلف قومياتهم إلى الانضواء تحت راية الإسلام، بالحكمة والموعظة الحسنة، ثم كسر الأصنام والأوثان بالجهاد المتواصل، وبذل النفس والنفيس في سبيله، حتى تُصَبِّحَ الأجواء صافيةً والظروف حرَّةً، وترتفع العوائق والموانع بغية دخول الناس في دين الله زرافاتٍ ووحداناً عن طوعٍ وربةٍ، بلا خوفٍ ولا رهبةٍ من طواغيت العصر. فقامت الدول الإسلامية المتعاقبة بالتوسُّع، ونشر الثقافة الإسلاميَّة بين الأمم المتحضرة والتي كانت تتمتع وراء الآداب والفنون والعلوم والصناعات بمناهج فلسفيَّة، وآراء كلاميَّة لا يدعن بها الإسلام.

وقد كان في ذلك الاحتكاك الثقافيِّ واللقاء الحضاريِّ تأثيرٌ بالغٌ، عاد على الإسلام والمسلمين بالخير الكثير، إلا أنَّ هذا الاحتكاك لم يخلُ عن مضاعفات، وهي انتقال تلك الآراء والأفكار إلى المسلمين، وهم غير متدرِّعين تجاه تلك الشبهات والمشاكل.

2 - انتقال الأسر

وأعان على ذلك أمرٌ ثانٍ؛ وهو انتقال عدَّة من الأسر إلى العواصم الإسلاميَّة، فانتقلوا إليها بأرائهم وأفكارهم وعقائدهم المضادَّة للإسلام وأُسسهِ، وكان بين المسلمين من لم يتورَّع في أخذ هاتيك العقائد الفاسدة، نظراء: عبد الكريم ابن أبي العوجاء، وحماد بن عجرد، ويحيى بن زياد، ومطيع بن اياس، وعبد الله بن المقفَّع إلى غير ذلك بين غير متدرِّع أو غير متورَّع، فأوجد ذلك قلقاً ووحشةً بين المسلمين.

3 - الترجمات

أضف إلى ذلك أمراً ثالثاً كان له التأثير الحاسم في بسط الأفكار الغثَّة والسمنية في ربوع المسلمين وهو نقل الكتب الرومانيَّة واليونانيَّة والفارسيَّة إلى اللغة العربيَّة دون نظارةٍ ورقابةٍ، وجعلها في متناول أيدي الناس، وقد ذكر ابن النديم تاريخ ترجمة تلك الكتب فقال:

«كان خالد بن يزيد بن معاوية محبباً للعلوم، فأمر بإحضار جماعةٍ من فلاسفة

اليونان، ممّن كان ينزل مدينة مصر، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليونانيّ والقبطيّ إلى العربيّ، وهذا أوّل نقل كان في الإسلام من لغةٍ إلى لغة، ثم نقل الديوان وكان باللغة الفارسيّة إلى العربيّة في أيام الحجاج، وكان أمر الترجمة يتقدم ببطء، إلى أن ظهر المأمون في ساحة الخلافة، فراسل ملك الروم يسأله الإذن في إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة، المدخرة في بلاد الروم، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع، فبعث المأمون جماعة، منهم: الحجاج بن مطر، وابن بطريق، ومحمّد بن أحمد و الحسين بنو شاعر المنجم، فجاءوا بطرائف الكتب، وغرائب المصنّفات في الفلسفة والهندسة وغيرهما⁽¹⁾. ثم ذكر ابن النديم أسماء النقلة من اللغات المختلفة إلى اللغة العربيّة، وجاء بأسماء كميّة هائلة، فأخذوا يصبّون ما وجدوه من غثٍّ وسمينٍ في كتب الوثنيّين والمسيحيّين على رؤوس المسلمين، وهم غير متدرّعين وغير واقفين على جذور هذه الشبّه، مع أنّها كانت تززع أركان الإسلام.

موقف المسلمين من الشبه

أثار انتقال هذه الشبّه والعقائد والآراء إلى أوساط المسلمين ضجةً كبيرةً بينهم، فافترقوا إلى فرقتين:

فرقةٍ اقتصرت في الذب عن حياض الإسلام بتضليلهم وتكفيرهم وتوصيفهم بالزندقة، وتحذير المسلمين من الإلتقاء بهم، وقراءة كتبهم، والاستماع إلى كلامهم، إلى غير ذلك ممّا كان يعدّ مكافحةً سلبيةً لها الأثر القليل في مقابل ذلك السيل الجارف.

وفرقةٍ قد أحسّوا بخطورة الموقف، وأنّ المكافحة السلبية لها أثرها المؤقت، وأنّ ذلك الداء لو لم يعالج بالدواء الناجع سوف يعمّ المجتمع كلّه أو أكثره، فقاموا بمكافحة إيجابية عبر الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال الذي يستحسنه

(1) أبو النديم، أبو الفرج محمد بن يعقوب، فهرست ابن النديم، تحقيق: تجدد رضا، طهران، ط. 1.

الإسلام، فأزالوا شبهاتهم، ونقدوا أفكارهم في ضوء العقل والبرهان. وقد نجحوا في ذلك نجاحاً باهراً. وهؤلاء المناضلون هم الشيعة خريجو مدرسة أهل البيت عليه السلام.
 ففي تلك الأجواء المشحونة بالبحث والجدل استفحل أمر الكلام، أي العلم الباحث عن المبدأ وأسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله لغاية الذبّ عن الإسلام. فكان علم الكلام وليد الحاجة، ورهن الصراع الفكريّ مع التيارات الإلحادية المتحدية للإسلام والمسلمين. ففي هذه الظروف العصيبة قام أهل البيت عليه السلام بتربية جموعٍ غفيرةٍ من أصحاب المواهب، للذبّ عن الإسلام وأصوله والذود عن حريم الولاية، في ضوء العقل والبرهان، فصاروا يناظرون كلّ فرقةٍ ونحلةٍ بأمتن البراهين وأسلمها. وكان أئمة أهل البيت عليه السلام متكفّلين بتدريبتهم وتعليمهم كيفية مناظرتهم. وقد حفظ التاريخ أسماء لفييفٍ من الرافلين⁽¹⁾ في حلل الفضائل والمعارف. وسوف نتعرّض لأسمائهم إن شاء الله -تعالى-.
 والخلاصة أنّ القرآن والسنة، وأحاديث العترة الطاهرة، هي المنطلق الحقيقي لنشوء علم الكلام، وأنّ المسلمين بطوائفهم المختلفة كانوا يصدرون عنهما، كما كان للقاء الحضاري والاحتكاك الثقافي دور في تكامل علم الكلام وكثرة مسائله. فالكتاب والسنة كانا مرجعين للاهتمام إلى موقف الإسلام. واللقاء الحضاري كان سبباً لطرح المسائل في الأوساط، وانتقال الأذهان. وبالتالي أصبح الأمران سبباً لنشوء هذا العلم ونضوجه بين المسلمين على نزعاتهم المختلفة.

بدايات المسائل الكلامية في القرن الأول والثاني

يصرّ كتاب الملل والنحل على أنّ الاختلاف في الإمامة كان أوّل اختلافٍ دينيٍّ وأعظم خلافٍ بين الأمة.
 يقول أبو الحسن الأشعري: «أوّل ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد وفاة نبيهم صلى الله عليه وآله اختلافهم في الإمامة»⁽²⁾.

(1) أي العظماء.

(2) أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ج1، ص34، نشرة محيي الدين عبد الحميد. نقلًا عن السبحاني في مقدمته على نهاية المرام في علم الكلام للعلامة الحلّي، ص15.

ويقول الشهرستاني: «إنَّ الاختلاف في الإمامة أعظم خلاف بين الأمة، إذ ما سلَّ سيفٌ في الإسلام على قاعدةٍ دينيةٍ مثل ما سلَّ على الإمامة في كل زمان»⁽¹⁾.

والصحيح أنَّ الاختلاف في الإمامة بعد أيام الخلفاء، وإن أصبح اختلافاً كلامياً، فذهب أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام إلى أنَّها بنصِّ من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، بينما اختار أتباع مدرسة الخلفاء القول بأنَّها بالشورى، ولم يكن يوم ارتحل الرسول صلى الله عليه وآله اختلافاً في قاعدةٍ دينيةٍ، وجدالاً في مسألةٍ كلاميةٍ، بل كان جدالاً سياسياً محضاً، ولا يبتنى على قاعدةٍ دينيةٍ، لأنَّ علياً وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ووليفاً من شيعة الإمام عليه السلام كانوا بعيدين عن السقيفة وما جرى فيها، مشغولين بتجهيز النبي صلى الله عليه وآله. وأمَّا الأنصار فكانوا يرون أنفسهم أولى بإدارة الأمور لأنهم آووا النبي صلى الله عليه وآله ونصروه. وكان المهاجرون يرون أنفسهم أولى بها لأنهم أصل النبي صلى الله عليه وآله وعشيرته، من دون أن يبحث أحدٌ من الفئتين عن القاعدة الدينية التي ينبغي أن تبنى عليها الإمامة، وأنَّها هل هي التنصيب، أو الشورى أو غيرهما، وما هو الملاك فيها؟ بل كانت هذه الأمور مغفولاً عنها يوم ذاك، وكان الهدف هو تسنُّم منصَّة الخلافة وتداول كرثها بين أبنائهم وعشيرتهم. حتَّى لو لم تكن حكومة الرسول صلى الله عليه وآله حكومة دينية وكان الرسول صلى الله عليه وآله قائداً بشرياً مات عنها، لقام المهاجرون والأنصار بنفس ذلك الجدل، ولسعى كلٌّ إلى جرِّ النار إلى قرصه. ولو كان النزاع على أساس ديني، لما كان للاختلاف مجالٌ، وكفتهم هتافات الرسول صلى الله عليه وآله في بدء الدعوة، ويوم ترك المدينة لغزوة تبوك، ويوم الغدير وغيرها من المواقف بالإضافة إلى الأحاديث التي دلَّت على إمامة الأمة عليهم السلام من بعده.

(1) الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق: كيلاني محمد سيّد، دار المعرفة، بيروت، لات، ط1، ج1، ص24.

المفاهيم الرئيسية

- إن الاحتكاك الثقافي بين المسلمين وغيرهم، أدى لظهور صراعٍ فكري بينهم، وساهم هذا الصراع في إيقاظ المفكرين المسلمين للمساهمة فيه.
- إن عالمية الدين الإسلامي دفعت المسلمين إلى الاستمرار في نشر الإسلام وبسطه في العالم بمختلف قومياتهم.
- لعبت ترجمات الكتب الفلسفية والدينية دوراً في بسط الإلحاد والزندقة، مما دفع المسلمين إلى محاولة القضاء عليها بكل الوسائل؛ ومنها الصراع الفكري والثقافي.
- اتخذ بعض المسلمين موقفاً حاداً في مواجهة الإلحاد عبر تكفير الملحدين وتضليلهم وتحذير المسلمين من الالتقاء بهم.
- واتخذ البعض الآخر من المسلمين موقف البحث العلمي والدعوة والموعظة الحسنة في مواجهة المدّ الإلحادي.

أسئلة الدرس

1. ما هو المقصود من العامل الخارجي؟
2. اذكر واحداً من الأسباب الخارجية التي ساعدت على نشوء هذا العلم وتحدّث عنه.
3. هل الخلاف حول الإمامة كان أول المسائل الكلامية؟ وضح ذلك.
4. كيف واجه المسلمون الآثار السلبية الناتجة عن الترجمات؟

الدرس السابع

نماذج من المسائل الكلامية

أهداف الدرس

على المتعلم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يعدّد نبذة من أهم المسائل الكلامية التي كانت مورد خلاف بين المسلمين.
2. يبيّن المنشأ والأصل لكل مسألة كلامية خلافة.
3. يحدّد مفهوم الإيمان وعلاقته بمفهوم العمل.

مسألة التحكيم⁽¹⁾

أحد الخلافات البارزة التي ظهرت، هي مسألة التحكيم في وقعة صفين. والمسألة يوم ذاك، وإن اصطبغت بصبغةٍ سياسيةٍ، لكنها كانت على أساسٍ دينيٍّ، وهو أنّ الخوارج خالفوا علياً عليه السلام وانشقوا عن جيشه، بحجة أنّ حكم الله في الباغي، هو مواصلة الحرب والجهاد حتّى يفيء إلى حكم الله، لا التصالح وإيقاف الحرب. وحبّتهم وإن كانت مردودةً؛ لأجل أنّ التحكيم إنّما فرض على الإمام عليه السلام، لا أنّه قبله عن اختيارٍ وحريةٍ، والخوارج هم الذين فرضوه عليه، ولم يكتفوا بذلك حتّى فرضوا عليه صيغة التحكيم ووثيقته، وحتى المحكم الذي يشارك فيه مع مندوب معاوية، إلا أنّ هذا الإعوجاج الفكريّ صار سبباً لتشكّل فرقتين متخاصمتين إلى عهدٍ وقرونٍ. وبذلك يفترق اختلافهم عن اختلاف أمثال طلحة والزبير ومعاوية؛ إذ لم يكن اختلافهم حول المبادئ، وإنّما طمعوا في أن يكونوا خلفاء وحكاماً، ولذلك لم يثيروا إلا مشاكل سياسيةً دمويةً، بخلاف الخوارج، فإنّ اختلافهم كان حول المبادئ، وكانوا يردّدون كلمة (لا حكم إلا لله)، وكان الإمام عليّ عليه السلام وحواريّه الجليل ابن عباس يحتجّان عليهم بالقرآن والسنة.

وبظهور الخوارج على الصعيد الإسلاميّ، ورفضهم التحكيم، طُرحت مسائلٌ أخرى بين المسلمين شكّلت مسائل كلاميةً عبر القرون، وهي:

(1) الدرس مقتبس بتمامه من مقدمة الشيخ جعفر السبحاني على كتاب نهاية المرام في علم الكلام للعلامة الحلي، انظر ص 16-24.

مرتكب الكبيرة

إنَّ الخوارج كانوا يَحْبُونَ الخليفَتَيْنِ الأوَّلَ والثَّانِي، ويوافقون عثمان في سِنِّي خلافتِهِ إلى سِتِّ سنين. وأمَّا الإمام عَلِيُّ عَليهِ السَّلَامُ فَقَد كانوا مَصَدِّقِيهِ إلى قِضِيَةِ التحكيم، لِأَنَّهُ لَمَّا فُرِضَ عَلَيْهِ التحكيم، وَقَبْلَ اضْطِرَارِهِ بِذَلِكَ المَخْطُوطِ لا عَن رَغْبَةٍ فِيهِ، خالفوه ووصفوه باقتِرافِ الكبيرة. وعندها طُرِحَتْ أوَّلُ مَسْأَلَةٍ كَلَامِيَّةٍ؛ وهي: ما حَكَمَ مَرْتَكِبُ الكبيرة؟ وكَثُرَ الكلامُ فِيهَا أَيَّامَ محارِبَةِ الخوارج مع الأمويين المعروفين بالفِسْقِ والفِجورِ، وسَفْكِ الدِّمَاءِ وغِصَبِ الأموالِ، فحارِبَهُمُ الخوارج بِحِجَّةِ أَنَّهُمُ كُفَرَاءُ؛ لا حرمةَ لدمائِهِم، ولا أَعْرَاضِهِم، ولا نفوسِهِم لِاقتِرافِهِمُ الكبائرِ.

وقد تشعَّبت الآراءُ في حَكَمِ مَرْتَكِبِ الكبيرة:

1. فالخوارج قالوا: إِنَّهُ كَافِرٌ.
2. وأبو الحسن البصريُّ قال: إِنَّهُ فَاسِقٌ مَنَافِقٌ.
3. والمعتزلة ذهبوا إلى أَنَّهُ لا مُؤْمِنٌ ولا فَاسِقٌ، بل منزلةٌ بينهما.
4. والشيعة وتبعَهُمُ الأشاعرةُ قالوا: إِنَّهُ مُؤْمِنٌ لَكِنَّهُ فَاسِقٌ.

مفهوم الإيمان

وقد انبثق من النزاع في مرتكب الكبيرة نزاعٌ كَلَامِيٌّ آخَرٌ وهو: تحديد مفهوم الإيمان، وهل العمل داخل في حقيقة الإيمان أو لا؟ فعلى قول الخوارج والمعتزلة، العمل مقوم للإيمان، بخلافه على القول الآخر. وقد صارت تلك المسألة ذات أهمية في الأوساط الإسلامية وانتهت إلى مسألة أخرى، وهي زيادة الإيمان ونقصه بصالح الأعمال وعدمها.

القضاء والقدر

إنَّ مسألة القضاء والقدر وإن كان لها جذور قبل بزوغ نجم الإسلام وبعده، لكنَّها كانت مطروحة بصورة فردية، ولم تشكّل تياراً فكرياً ولا مذهباً كَلَامِيّاً، ثم أخذت

لنفسها أهميّة خاصّة في عصر الأمويين، حيث كانوا يبزرون استئثارهم وأعمالهم الإجراميّة بالقضاء والقدر، فصار ذلك سبباً لوقوع المسألة مثاراً للبحث والنقاش بين أهل الفكر من المسلمين.

وقد كانت تلك الفكرة سائدة حتّى بعد رحيل النبي ﷺ، فقد روى عبد الله بن عمر أنّه جاء رجل إلى أبي بكر فقال: «أرأيت الزنا بقدر؟» قال: نعم.

قال: الله قدره عليّ ثمّ يعدّ بني؟

قال: نعم يابن اللخناء، أما والله لو كان عندي إنسان، أمرته أن يجأ أنفك⁽¹⁾.

التشبيه والتنزيه

قد تتفق اليهوديّة والإسلام في الأصول العامّة للتوحيد والنبوّة، لكنهما يفترقان في أوصاف الربّ. فالتوراة يصف الإله بصورة بشرٍ وله صورة وإذا عمل يتعب فيحتاج إلى الاستراحة، ويقول: «فرغ الله في اليوم السادس من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع⁽²⁾، وأنّه يمشي بين رياض الجنّة وله نداء»⁽³⁾، إلى غير ذلك ممّا ورد في العهد القديم من التشبيه والتجسيم والتمثيل. وقد دسّت الأخبار كثيراً من البدع بين الأحاديث، لاعتماد الرواة على أناس نظراء: كعب الأخبار، ووهب بن منبه، وتميم الداري وغيرهم.

فأصبحت مسألة التشبيه والصفات ذات أهميّة كبرى، فرّقت المسلمين إلى طوائف، واستفحل أمرها بوجود روايات التشبيه والتجسيم في الصحاح والمسانيد، التي عكف على روايتها المحدثون السدّج، غير العارفين بدسائس اليهود ومكرهم، فحسبوا حقائق راهنة. والخلاف في تفسير الصفات الخبرية ما زال باقياً إلى يومنا هذا.

(1) الأميني، عبد الحسين أحمد، الغدير، دار الكتاب العربي، بيروت، 1387هـ ط3، ج7، ص153.

(2) الكنيسة، العهد القديم، سفر التكوين، مصدر سابق، انظر: الإصحاح الأوّل.

(3) المصدر نفسه.

عصمة الأنبياء ﷺ

إنَّ أبرز ما يفترق فيه القرآن عن العهدين القديم والجديد هو مسألة سيرة رجال الوحي والهداية الذين وصفهم الله سبحانه بقوله ﴿وَأَنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾⁽¹⁾. وقد ذكر من قصصهم الشيء الكثير، ومع ذلك لا تجد فيه شيئاً يمسّ كرامتهم أو يحطّ من مقامهم. وأمّا التوراة والإنجيل (المحرّفان)، فقد جاء بأساطير خياليّة، تمسّ بكرامة الله أولاً، وكرامة أنبيائه ثانياً، فالأنبياء فيهما يشربون الخمر⁽²⁾ ويمكرون⁽³⁾ ويقترفون الزنا⁽⁴⁾ إلى غير ذلك ممّا يندى لذكره الجبين، فصار ذلك سبباً لطرح مسألة العصمة بين المسلمين، وانقسموا بين مثبتٍ ونافٍ ومفصّلٍ، وإن كان النافي بينهم أقلّ.

حدوث القرآن وقدمه

كان أهل الحديث ملتزمين بعدم اتخاذ موقف خاص فيما لم يرد فيه نص عن رسول الله ﷺ وعهد من الصحابة. إلا أنّهم خالفوا منهجهم في هذه المسألة بسبب بعض الأعياب الأيادي الأجنبية عن الإسلام. فقد طرح هذه المسألة يوحنا الدمشقي في كتابه، وعلم أتباعه المسيحيين أن يسألوا المسلمين عن السيد المسيح ﷺ، فإذا أجابوهم بنصّ قرآنهم ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾⁽⁵⁾ قالوا: هل كلمة الله وروحه مخلوقة أم غير مخلوقة؟ فإن قالوا مخلوقة، فالزموهم بأنّ معناه أنّ الله كان ولم تكن له كلمة ولا روح، وإن قالوا قديمةً يثبت قدم المسيح، وكونه ابن الله وأحد الثلاثة.

(1) سورة ص، الآية 47.

(2) الكنيسة، العهد القديم، دار الكتاب المقدّس، 1980م، سفر التكوين، الإصحاح التاسع، الجملات 20 - 25.

(3) المصدر نفسه، سفر التكوين، الإصحاح التاسع، والعشرون 18 - 38.

(4) المصدر نفسه، صموئيل الثاني، الإصحاح الحادي عشر، 497.

(5) سورة النساء، الآية 171.

فأوجدت تلك المسألة ضجةً كبيرةً بين المسلمين، فالمحدثون اختاروا عدم كون كلام الله مخلوقاً، والمتفكرون كالشيعة والمعتزلة اعتقدوا بالحدوث. هذه نماذج من المسائل الكلامية التي طُرِحَتْ في القرن الأول والثاني ولم تزل المسائل تطرح واحدةً بعد الأخرى حسب امتداد الصراع الفكري بين المسلمين وسائر الشعوب؛ من مسيحيةٍ ويهوديةٍ ومجوسيةٍ وبوذيةٍ. فقد دفعت هذه الاتصالات الفكرية عجلةَ علم الكلام إلى الأمام، فأصبح المتكلمون يبحثون عن مسائل أُخرى، ربما تقع ذريعةً للردِّ على الإسلام، إلى أن صار علم الكلام علماً متكامل الأركان متشعب الفنون ناضج الثمار داني القطوف.

المفاهيم الرئيسية

- أول خلافٍ ظهر بين المسلمين، وصيّرهم فرقتين، هو مسألة التحكيم في وقعة صفين. والمسألة يوم ذاك، وإن اصطبغت بصبغةٍ سياسيّةٍ، لكنّها كانت على أساسٍ دينيّ، وهو أنّ الخوارج خالفوا عليّاً عليه السلام وانشقوا عن جيشه، بحجّة أنّ حكم الله في الباغي، هو مواصلة الحرب والجهاد حتّى نفىء إلى حكم الله.
- انبثق من النزاع في مرتكب الكبيرة نزاعٌ كلاميّ آخر وهو: تحديد مفهوم الإيمان، وهل أنّ العمل داخل في حقيقة الإيمان أو لا.
- كانت مسألة القضاء والقدر، مطروحة بصورة فردية ولم تشكّل تياراً فكريّاً ولا مذهباً كلاميّاً، ثمّ أخذت لنفسها أهميّةً خاصّةً في عصر الأمويين، حيث كانوا يبرّون استنثارهم وأعمالهم الإجراميّة بالقضاء والقدر.
- هناك جهة التقاء بين اليهوديّة والإسلام في التوحيد والنبوّة، لكنهما يفترقان في أوصاف الله تعالى، فأصبحت مسألة التشبيه والصفات ذات أهميّةٍ كبرى، فرّقت المسلمين إلى طوائف.
- اكتسبت مسألة إمكان النسخ في مجال التشريع مكانةً بين المسائل الكلامية. وبما أنّ اليهود كانوا منكرين لنبوّة المسيح عليه السلام والنبىّ الخاتم عليه السلام، عادت تنكر إمكان النسخ.
- إنّ مسألة حدوث القرآن وقدمه من المسائل التي أثارت جدلاً واسعاً بين المسلمين، إذ أنّ إثبات حدوثه يثبت حدوث كلام الله (عيسى عليه السلام) وروحه، وإن كان العكس فعيسى قديم فهو ابن الله تعالى، وهو محال.

أسئلة الدرس

1. أذكر خمساً من المسائل الكلامية المطروحة في القرنين الأول والثاني.
2. تحدّث عن مسألة التحكيم؟ وآثارها على المسلمين.
3. لماذا طرحت مسألة النسخ في الشريعة؟ تحدّث عنها؟
4. تحدّث عن مسألة حدوث القرآن وقدمه.

الدرس الثامن

متكلمو الشيعة (1)

أهداف الدرس

على المتعلم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرف إلى بعض متكلمي الشيعة من القرن الأول إلى القرن الثالث الهجري.
2. يميز دور أهل البيت عليهم السلام في تأسيس هذا العلم.
3. يذكر عدداً من متكلمي أصحاب الأئمة عليهم السلام.

أُمَّة الشَّيْبَعَةِ فِي الْقَرْنَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ⁽¹⁾

لقد شغلت المسائل الكلامية مفكري المسلمين في القرنين الأولين. وقام الأئمة عليهم السلام بالردّ على الشبهات المطروحة، والدفاع عن العقيدة ومسائلها. فهم رغم إقصائهم عن مناصبهم، إلا أنّهم كانوا المرجع للمسلمين قاطبة، حتّى الحكّام والخلفاء اعترفوا بفضلهم وبكونهم المراجع العليا في ما يخصّ العقيدة والأحكام وسائر الأمور. والمنتبّع لكلمات الأئمة عليهم السلام وخطبهم ومواقفهم يجد الكثير من المواقف. وما يهمنّا هنا المسائل العقائدية، التي كانوا المرجع فيها، وكانوا يبدون فيها الموقف الحق وفصل الخطاب. ونهج البلاغة مليء بالكلمات التي يتعرّض فيها لمسائل الإلهيات⁽²⁾. ومن مواقف الأئمة نذكر رسالة الإمام الحسن المجتبي عليه السلام إلى الحسن البصريّ الذي كتب إلى الإمام عليه السلام يسأله: «أمّا بعد فإنكم معشر بني هاشم، الفلك الجارية في اللّجج الغامرة، والأعلام النيرة الشاهرة، أو كسفينة نوح عليه السلام التي نزلها المؤمنون، ونجا فيها المسلمون، كتبت إليك يا ابن رسول الله عند اختلافنا في القدر وحيرتنا في الاستطاعة، فأخبرنا بالذي عليه رأيك ورأي آبائك عليهم السلام، فإنّ من علم الله علمكم، وأنتم شهداء على الناس والله الشاهد عليكم: ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ

سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾⁽³⁾.

(1) الدرس مقتبسٌ بتمامه من مقدمة الشيخ جعفر السبحاني على كتاب نهاية المرام في علم الكلام للعلامة الحلبيّ، انظر ص 26-47.

(2) لاحظ مثلاً إجابته عن القضاء والقدر، بعد أن سأله شيخُ عنهما: الصدوق، التوحيد، مصدر سابق، ص 381؛ ونهج البلاغة، ج 4، ص 69.

(3) سورة آل عمران، الآية 34.

فأجابه الإمام الحسن عليه السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم، وصل إليّ كتابك، ولولا ما ذكرته من حيرتك وحيرة من مضى قبلك إذاً ما أخبرتك، أمّا بعد: فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره وأنّ الله يعلمه فقد كفر. ومن أحال المعاصي على الله فقد فجر. إنّ الله لم يُطعْ مكرهاً، ولم يُعصَ مغلوباً، ولم يهمل العباد سدى من المملكة، بل هو المالك لما ملّكهم والقادر على ما عليه أقدرهم، بل أمرهم تخييراً، ونهاهم تحذيراً، فإن ائتمروا بالطاعة لم يجدوا عنها صادّاً، وإن انتهوا إلى معصية فشاء أن يمنّ عليهم بأن يحول بينهم وبينها، فعل، وإن لم يفعل فليس هو الذي حملهم عليها جبراً، ولا أزموها كرهاً، بل منّ عليهم بأن بصّرهم وعرفهم وحذّرهم وأمرهم ونهاهم، لا جَبْلاً لهم على ما أمرهم به فيكونوا كالملائكة، ولا جبراً لهم على ما نهاهم عنه، ولله الحجة البالغة، فلو شاء لهداكم أجمعين، والسلام على من اتّبع الهدى»⁽¹⁾.

وكذلك جواب الإمام الحسين عليه السلام لنافع بن الأزرق الذي يعدّ من رؤوس الخوارج حيث كان يسأل عن الإله الذي يُعبد⁽²⁾.

ومما استخدمه الإمام السجاد عليه السلام في نشر المعارف الحقّة أسلوب الدعاء. وكان يذكر في طيّات أدعيته مطالب عقائديّة عالية، كانت الشبه تدور حولها. فقد روى الشيخ المفيد أنّ عليّ بن الحسين عليه السلام كان في مسجد رسول الله ﷺ ذات يوم إذ سمع قوماً يشبهون الله بخلقه، ففزع لذلك وارتاع له، ونهض حتّى أتى قبر رسول الله، فوقف عنده، ورفع صوته ينادي ربّه، فقال في مناجاته له:

«إلهي بدت قدرتك ولم تبد هيئة فجهلوك، (وقدّروك بالتقدير على غير ما به أنت)، شبهوك وأنا بريء يا إلهي من الذين بالتشبيه طلبوك، ليس كمثلك شيء، إلهي ولم يدركوك، وظاهر ما بهم من نعمة دليلهم عليك لو عرفوك، وفي خلقك يا إلهي

(1) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، قم، 1404هـ ط2، ص231.

(2) ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1415هـ ط1، ج14، ص183-184.

مندوحةً أن يناولوك، بل سوّوك بخلقك فمن ثم لم يعرفوك، واتخذوا بعض آياتك رباً فبذلك وصفوك، فتعاليت يا إلهي عمّا به المشبّهون نعتوك»⁽¹⁾.

أبرز أصحاب الأئمة عليهم السلام في القرن الأوّل

كان هذا دور أئمة الشيعة الأربعة في القرن الأوّل. وقد تربّى في مدرستهم رجال ذبّوا عن حياض العقيدة، بكلّ ما يملكون من حول وقوّة، وكانت لهم مواقف حسّاسة وبارزة لا سيما في مسألة الخلافة وانتزاعها من أمير المؤمنين عليه السلام، وإن لم يصدق على بعضهم أنّهم متكلّمون بالمعنى المصطلح، نذكر منهم:

1. سلمان الفارسيّ: وأبرز ما كان له في هذا الصدد خطبته المطوّلة في الناس التي ينقلها صاحب البحار، قال فيها: «... أما والله لو وليتموهما عليّاً لأكلتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم، فابشروا بالبلاء، واقنطوا من الرخاء، ونابذتكم على سواء وانقطعت العصمة فيما بيني وبينكم من الولاة...»⁽²⁾.
2. أبو ذرّ الغفاريّ: وقد كانت شهادته، في الربذة تلك الصحراء القاحلة، جرّاء مواقفه المشهودة بعد رحيل النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وأبرزها أنّه أخذ بحلقة باب الكعبة ونادى بأعلى صوته: «أنا جندب بن جنادة لمن عرفني، وأبو ذر لمن لم يعرفني، إنّني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من قاتلني في الأولى وقاتل أهل بيتي في الثانية، فهو من شيعة الدجال. إنما مثل أهل بيتي في أمّتي كمثل سفينة نوح في لجة البحر، من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق. ألا هل بلغت، ألا هل بلغت؟ قالها ثلاثاً»⁽³⁾.

(1) الصدوق، التوحيد، مصدر سابق، ص153.

(2) المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج22، ص387؛ وج29، ص79.

(3) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم، 1414هـ ط1، ص465.

3. عبد الله بن عباس: حبر الأمة وعالم الشريعة، تلميذ الوصي عليه السلام المعروف بحجابه ومناظراته مع الخوارج وغيرهم. وقد حفلت كتب التفسير بأرائه وأفكاره في العقائد والتفسير.

4. حجر بن عدي الكندي: من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام. يصفه الإمام أبو عبد الله الحسين بن علي عليه السلام بقوله مندداً بعمل معاوية، حيث قتله بشهادة مزورة حاكها زياد بن أبيه: «ألست القاتل حجراً أخوا كندة، والمصلين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون البدع، ولا يخافون في الله لومة لائم، قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما كنت أعطيتهم الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة؟»⁽¹⁾ وقد استشهد في مرج عذراء عام 51هـ.

5. كميل بن زياد النخعي: «لما ولي الحجاج طلب كميل بن زياد فهرب منه، فحرم قومه عطاءهم، فلما رأى كميل ذلك قال: أنا شيخ كبير قد نفذ عمري، لا ينبغي أن أحرم قومي عطياتهم، فخرج فدفع بيده إلى الحجاج، فلما رآه قال له: لقد كنت أحب أن أجد عليك سبيلاً، فقال له كميل: لا تصرف عليّ أنيابك ولا تهدم عليّ، فوالله ما بقي من عمري إلا مثل كواسل الغبار، فاقض ما أنت قاض فإن الموعد الله وبعد القتل الحساب، ولقد خبرني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنك قاتلي، قال: فقال له الحجاج: الحجة عليك إذن، فقال كميل: ذاك إن كان القضاء إليك، قال: بلى، قد كنت فيمن قتل عثمان بن عفان، اضرَبوا عنقه، فضرَبت عنقه»⁽²⁾.

(1) المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 44، ص 213.

(2) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، منشورات دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1414هـ ط 2، ج 1، ص 327.

6. الأصبع بن نباتة: «من خاصّة أمير المؤمنين وعمّر بعده. روى عنه عليه السلام عهد الأشر ووصيته إلى محمّد ابنه»⁽¹⁾. «وكان الأصبع كثير الرواية، متقناً في حديثه، من كبار التابعين. وكان أكثر رواياته عن أمير المؤمنين عليه السلام. وقد روى عن الصحابة، عن النبي صلى الله عليه وآله فضائل علي عليه السلام. وله روايات كثيرة في فنون العلم: أبواب الفقه والتفسير والحكم وسائر الأبواب، وروايات في فضل أمير المؤمنين عليه السلام وفضل وليّه وشيعته، كما في اختصاص المفيد، وغيره»⁽²⁾. وغيرهم من رجال العقيدة، في هذين القرنين الذين انتهجوا نهج أهل البيت عليهم السلام، ولم يحدوا عنه، ودافعوا عنه، ولم تأخذهم في الله لومة لائم، مثال: سعيد بن جبير، قنبر مولى أمير المؤمنين عليه السلام، ميثم التمار، ومالك الأشر.

بعض متكلّمي الشيعة في القرن الثاني

1. زرارة بن أعين: «وهو مولى بني عبد الله... شيخ أصحابنا في زمانه، ومتقدّمهم. وكان قارئاً فقيهاً متكلّماً شاعراً، أديباً، قد اجتمعت فيه خلال الفضل والدين، صادقاً في ما يرويه. قال أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه: رأيت له كتاباً في الاستطاعة والجبر»⁽³⁾. وقال ابن النديم: وزرارة أكبر رجال الشيعة فقهاً وحديثاً، ومعرفةً بالكلام والتشيع»⁽⁴⁾. وهو من الشخصيات البارزة للشيعة التي اجتمعت العصابة على تصديقهم، وهو غنيّ عن التعريف والتوصيف.

(1) النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد، رجال النجاشي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم، 1416هـ ط5، ص5.

(2) الأبطحي، محمد علي، تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي، مطبعة فارس، لا ب، 1417هـ ط2، ج1، ص201.

(3) النجاشي، رجال النجاشي، مصدر سابق، ص175.

(4) ابن النديم، فهرست ابن النديم، مصدر سابق، ص276.

2. محمد بن علي بن النعمان بن أبي طريفة البجليّ: قال النجاشي: «مولى، الأحوال (أبو جعفر) كوفي، صيرفي، يلقب مؤمن الطاق و (صاحب الطاق) ويلقبه المخالفون (شيطان الطاق) ... فأما منزلته في العلم وحسن الخاطر، فأشهر وقد نسب إليه أشياء لم تثبت عندنا وله كتاب (افعل لا تفعل)... وله كتاب (الاحتجاج في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام)، وكتاب كلامه على الخوارج، وكتاب مجالسه مع أبي حنيفة والمرجئة»⁽¹⁾. وقال ابن النديم: «وكان متكلماً حاذقاً، وله من الكتب كتاب الإمامة، كتاب المعرفة، كتاب الردّ على المعتزلة في إمامة المفضول، كتاب في أمر طلحة والزبير وعائشة»⁽²⁾.
3. هشام بن الحكم: قال ابن النديم: «هو من متكلمي الشيعة الإمامية وبطانهم، وممن دعا له الصادق عليه السلام فقال: «أقول لك ما قال رسول الله لحسان: لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك». وهو الذي فتح الكلام في الإمامة، وهذب المذهب، وسهل طريق الحجاج فيه، وكان حاذقاً بصناعة الكلام، حاضر الجواب»⁽³⁾.
- وقال النجاشي: «هشام بن الحكم، أبو محمد مولى كندة، وكان ينزل بني شيبان بالكوفة، انتقل إلى بغداد سنة 199هـ، ويقال إنّ في هذه السنة مات، له كتاب يرويه جماعة ثم ذكر أسماء كتبه نذكر منها:
- علل التحريم - الإمامة - الدلالة على حدوث الأجسام - الردّ على الزنادقة. 5. الردّ على أصحاب الاثنيين - الردّ على هشام الجواليقي - الردّ على أصحاب الطبائع - الشيخ والغلام في التوحيد - التدبير في الإمامة - إمامة المفضول - الوصيّة والردّ على منكريها - اختلاف الناس في الإمامة - الجبر والقدر - الحكمين - الردّ على

(1) النجاشي، رجال النجاشي، مصدر سابق، ص325.

(2) ابن النديم، فهرست ابن النديم، مصدر سابق، ص224.

(3) المصدر نفسه، ص224.

المعتزلة وطلحة والزبير - القدر - الردّ على المعتزلة - الردّ على أرسطاطاليس في التوحيد - المجالس في التوحيد - المجالس في الإمامة»⁽¹⁾.
يقول عنه أحمد أمين: «أكبر شخصية شيعيّة في الكلام، ... وكان جدلاً قويّ الحجّة، ناظر المعتزلة وناظروه، ونقلت له في كتب الأدب مناظرات كثيرة متفرقة تدلّ على حضور بديهته وقوّة حججه»⁽²⁾.

4. **عليّ بن الحسن بن محمّد الطائيّ:** «المعروف بـ (الطاطريّ) كان فقيهاً، ثقةً في حديثه، له كتب، منها: التوحيد، الإمامة، الفطرة، المعرفة، الولاية⁽³⁾ وغيرها. وعده ابن النديم من متكلّمي الإمامية وقال: ومن القدماء الطاطريّ وكان شيعياً ... وله من الكتب كتاب الإمامة حسن»⁽⁴⁾.

5. **الحسن بن عليّ بن يقطين بن موسى:** «مولى بني هاشم، وقيل مولى بني أسد، كان فقيهاً متكلّماً، روى عن أبي الحسن والرضا عليهما السلام، وله كتاب مسائل أبي الحسن موسى عليه السلام⁽⁵⁾. وبما أنّ أبا الحسن الأوّل توفي عام 183هـ والثاني توفي عام 203هـ فالرجل من متكلّمي القرن الثاني وأوائل القرن الثالث وهو الذي سأل الإمام الرضا عليه السلام بأنّه لا يقدر على لقائه في كلّ وقت، «فعمّن يأخذ معالم دينه؟ فأجاب الإمام عليه السلام: خذ عن يونس بن عبد الرحمن»⁽⁶⁾.

(1) النجاشي، رجال النجاشي، مصدر سابق، ص433.

(2) أمين، أحمد، ضحى الإسلام، نقلًا عن عبد الله نعمة، هشام بن الحكم، منشورات دار الفكر اللبناني، ل.ب، 1985م، ط2، ج3، ص268.

(3) النجاشي، رجال النجاشي، مصدر سابق، ص255.

(4) ابن النديم، فهرست ابن النديم، مصدر سابق، ص226.

(5) النجاشي، رجال النجاشي، مصدر سابق، ص45.

(6) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم، 1414هـ، ط2، ج18، ص107.

6. فضال بن الحسن بن فضال: وهو من متكلمي عصر الصادق عليه السلام، وذكر الطبرسي في احتجاجة مناظرته مع أبي حنيفة. وما ذكرناه نماذج من مشاهير المتكلمين في عصر الصادقين والكاظم عليه السلام، وهناك من لم نذكرهم ولهم مناظرات احتفلت بها الكتب التاريخية والكلامية، كحمران بن أعين الشيباني، وهشام بن سالم الجواليقي، والسيد الحميري، والكميت الأسيدي.

بعض متكلمي الشيعة في القرن الثالث

1. الفضل بن شاذان بن الخليل، أبو محمد الأزدي النيشابوري: كان أبوه من أصحاب يونس، وروى عن أبي جعفر الثاني وقيل الرضا عليه السلام، وكان ثقةً، أحد أصحابنا الفقهاء، والمتكلمين، وله جلالة في هذه الطائفة، وهو في قدره أشهر من أن نصفه، وذكر الكنجي أنه صنف مائة وثمانين كتاباً، وذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الإمام الهادي والعسكري عليه السلام، وقد توفي عام 260هـ وقد ذكر النجاشي فهرست كتبه، نقتبس منه ما يلي: النقض على الإسكافي في تقوية الجسم، الوعيد، الرد على أهل التعطيل، الإستطاعة، الإيمان، الرد على الثنوية، إثبات الرجعة، الرد على الغالية المحمّدية، تبيان أصل الضلالة، الرد على محمد بن كرام، التوحيد في كتاب الله، وغيرها من الكتب.

2. حكم بن هشام بن الحكم: «أبو محمد، مولى كنده، سكن البصرة، وكان مشهوراً بالكلام، كَلَّمَ الناس، وحكي عنه مجالس كثيرة، ذكر بعض أصحابنا أنه رأى له كتاباً في الإمامة»⁽¹⁾. توفي والده عام 200 أو 199هـ، فهو من متكلمي أواخر القرن الثاني، وأوائل القرن الثالث.

(1) النجاشي، رجال النجاشي، مصدر سابق، الرقم 351، ص136.

3. داود بن أسد بن أعفر: «أبو الأحوص البصري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ شيخ جليل، فقيه متكلم، من أصحاب الحديث، ثقة ثقة، وأبوه من شيوخ أصحاب الحديث الثقات، له كتب منها كتاب في الإمامة على سائر من خالفه من الأمم، والآخر مجرد الدلائل والبراهين»⁽¹⁾. وذكره الشيخ الطوسي في الفهرست في باب الكنى فقال: «إنه من جملة متكلمي الإمامية، لقيه الحسن بن موسى النوبختي، وأخذ عنه، واجتمع معه في الحائر على ساكنه السلام»⁽²⁾. وكان ورد للزيارة فيما أنه من مشايخ الحسن بن موسى النوبختي المعاصر للجبائي (ت 303هـ) فهو من متكلمي القرن الثالث.
4. محمد بن عبد الله بن مملك الاصبهاني: «أصله من جرجان، وسكن أصبهان، جليل في أصحابنا، عظيم القدر والمنزلة. كان معتزلياً ورجع على يد عبد الرحمن بن أحمد بن جبرويه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، له كتب منها: كتاب الجامع في سائر أبواب الكلام الكبير، وكتاب المسائل والجوابات في الإمامة، كتاب مواليد الأئمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، كتاب مجالسه مع أبي علي الجبائي (235-303 هـ)»⁽³⁾.
5. ثبيت بن محمد، أبو محمد العسكري: «صاحب أبي عيسى الوراق (محمد بن هارون) متكلم حاذق، من أصحابنا العسكريين، وكان أيضاً له اطلاع بالحديث والرواية، والفقه، له كتاب توليدات بني أمية في الحديث، وذكر الأحاديث الموضوعة، وله الكتاب الذي يعزى إلى أبي عيسى الوراق في نقض العثمانية له، ودلائل الأئمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ»⁽⁴⁾.

(1) النجاشي، رجال النجاشي، مصدر سابق، الرقم 414، ص 157.

(2) الطوسي، محمد بن الحسن، الفهرست، تحقيق: جواد القوي، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، ل.اب، 1417هـ ط1، ص 277.

(3) النجاشي، رجال النجاشي، مصدر سابق، ص 380.

(4) المصدر نفسه، الرقم 300، ص 117.

6. إسماعيل بن محمّد بن إسماعيل بن هلال المخزومي: «أبو محمّد، أحد أصحابنا، ثقة فيما يرويه، قدم العراق، وسمع أصحابنا منه، مثل أيوب بن نوح، والحسن بن معاوية، ومحمّد بن الحسين، وعلي بن حسن بن فضال، له كتاب التوحيد، كتاب المعرفة، كتاب الإمامة»⁽¹⁾.

7. محمّد بن هارون: «أبو عيسى الوراق. له كتاب الإمامة، وكتاب السقيفة، وكتاب الحكم على سورة لم يكن، وكتاب اختلاف الشيعة والمقاتلات»⁽²⁾. وكانت وفاته سنة 247هـ.

8. إبراهيم بن سليمان بن أبي داحة المزني: «أبو إسحاق، كان وجه أصحابنا البصريين في الفقه والكلام والأدب والشعر، والجاحظ يحكي عنه»⁽³⁾.

9. محمّد بن الخليل السكاك: «بغداديّ يعمل السكك، صاحب هشام بن الحكم وتلميذه أخذ عنه، له كتب منها: كتاب الإمامة، وكتاب سمّاه التوحيد وهو تشبيه وقد نقض عليه»⁽⁴⁾.

(1) النجاشي، رجال النجاشي، مصدر سابق، الرقم 67، ص31.

(2) المصدر نفسه، الرقم 87، ص372.

(3) المصدر نفسه، الرقم 14، ص15.

(4) المصدر نفسه، الرقم 889، ص328.

المفاهيم الرئيسية

- يبرز دور الأئمة عليهم السلام في القرنين الأولين في الردّ على الشبهات الفكرية والدفاع عن العقيدة وقضاياها.
- يمثل كتاب نهج البلاغة وما تركه أمير المؤمنين عليه السلام من تراثٍ روائي، مصدراً كلامياً هاماً خصوصاً في ما يتعلّق بمسائل الإلهيات.
- استخدم الإمام زين العابدين عليه السلام أسلوب الدعاء في نشر المعارف الحقّة.
- قام أصحاب أهل البيت عليهم السلام بدور هامّ في مواجهة العقائد المنحرفة وتثبيت العقائد الصحيحة والأصيلة عبر إلقاء الخطب وإقامة المناظرات.
- لقد مدح أهل البيت عليهم السلام بعض متكلمي أصحابهم، إذ دعا الإمام الصادق عليه السلام لهشام بن الحكم فقال له: «لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك».
- قام عدد من أصحاب أهل البيت عليهم السلام بتأليف العديد من المؤلفات والمصنّفات في علم الكلام والعقيدة.

أسئلة الدرس

1. كيف تعامل الأئمة عليهم السلام مع الشبهات العقائديّة؟ أذكر نموذجاً من مواقفهم عليهم السلام.
2. أذكر أسماء بعض أبرز المتكلمين الشيعة من القرن الأوّل إلى القرن الثالث، وتحدّث عن أحدهم.
3. لماذا مدح أئمة أهل البيت عليهم السلام أصحابهم؟
4. عدّد ثلاثة من المصنّفات الكلامية لأصحاب الأئمة عليهم السلام.

الدرس التاسع

متكلمو الشيعة (2)

أهداف الدرس

على المتعلم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرف إلى بعض متكلمي الشيعة من القرن الرابع إلى القرن السابع الهجري.
2. يلاحظ ازدياد حركة التأليف في علم الكلام والعقيدة.
3. يحدّد مرحلة انتهاء المعتزلة وتيارهم الفكري.

متكلمو الشيعة في القرن الرابع⁽¹⁾

1. الحسن بن علي بن أبي عقيل: قال النجاشي: «أبو محمّد العمانيّ، الحدّاء، فقيه متكلم ثقة، له كتبٌ في الفقه والكلام منها: كتاب (التمسك بحبل آل الرسول) كتابٌ مشهورٌ في الطائفة ... وقرأت كتابه المسمّى: الكرّ والفرّ، على شيخنا أبي عبد الله المفيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو كتاب في الإمامة، مليح الوضع»⁽²⁾. وذكره الشيخ الطوسي في الفهرست والرجال، معاصر للكلينيّ، المتوفّى عام 329هـ.

2. إسماعيل بن علي بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت: قال النجاشي: «كان شيخ المتكلمين من أصحابنا وغيرهم، له جلالة في الدنيا والدين، يجري مجرى الوزراء في جلالة الكتاب، صنّف كتباً كثيرة، منها: كتاب الاستيفاء في الإمامة، التنبيه في الإمامة،... كتاب الردّ على محمّد بن الأزهر في الإمامة، كتاب الردّ على اليهود، كتاب في الصفات للردّ على أبي العتاهية (130-211هـ) في التوحيد في شعره، كتاب الخصوص والعموم والأسماء والأحكام، كتاب الإنسان والردّ على ابن الراوندي، كتاب التوحيد، كتاب الإرجاء، كتاب النفي والإثبات، مجالسه مع أبي علي الجبائي (235-303هـ) بالأهواز، كتاب في استحالة رؤية القديم، كتاب الردّ على المجبرة في المخلوق، مجالس ثابت بن أبي قرّة (221-288هـ)، كتاب النقض على عيسى بن أبان في الاجتهاد، نقض مسألة أبي عيسى الوراق في قدم الأجسام، كتاب الاحتجاج لنبوة النبي ﷺ، كتاب حدوث العالم»⁽³⁾.

(1) الدرس مقتبسٌ بتمامه من مقدمة الشيخ جعفر السبحاني على كتاب نهاية المرام في علم الكلام للعلامة الحلّي، انظر ص50-71.

(2) النجاشي، رجال النجاشي، مصدر سابق، الرقم 100، ص48.

(3) المصدر نفسه، الرقم 68، ص32.

3. الحسين بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه (أخو الصدوق القمي): «أبو عبد الله، ثقةٌ روى عن أبيه إجازة، وله كتب، منها: كتاب التوحيد ونفي التشبيه، وكتاب عمله للصاحب أبي القاسم بن عبّاد (326-385هـ)»⁽¹⁾. وقد توفّي أخوه عام 381 هـ، فهو من أعيان القرن الرابع، وهو وأخوه ولدا بدعوة صاحب الأمر. ترجمه ابن حجر في لسان الميزان.
4. محمّد بن بشر الحمدوني (أبو الحسن السوسنجردي): «متكلّم جيّد الكلام، صحيح الاعتقاد، كان يقول بالوعيد، له كتب منها: كتاب المقنع في الإمامة، كتاب المنقذ في الإمامة»⁽²⁾.
5. يحيى المكنى أبا محمّد العلوي: «من بني زبارة (زيادة)، علوي، سيّد، متكلّم، فقيه، من أهل نيسابور (نيسابور). له كتبٌ كثيرةٌ، منها: كتاب في المسح على الرجلين، وكتاب في إبطال القياس، وكتاب في التوحيد»⁽³⁾.
6. محمّد بن القاسم، أبو بكر: بغداديّ، متكلّم، عاصر ابن همام، له كتاب في الغيبة، (كتاب) كلام⁽⁴⁾. وابن همام هو محمّد بن أبي بكر بن سهيل الكاتب الاسكافي الذي ترجم له النجاشي في رجاله برقم 1033.
7. محمّد بن عبد الملك بن محمّد التبان: «يكنّى أبا عبد الله، كان معتزلياً، ثم أظهر الانتقال، ولم يكن ساكناً... له كتاب في تكليف من علم الله أنّه يكفر، وله كتاب في المعدوم، ومات لثلاث بقين من ذي القعدة سنة 419هـ»⁽⁵⁾.

(1) النجاشي، رجال النجاشي، مصدر سابق، الرقم 1069، ص 403.

(2) المصدر نفسه، الرقم 163، ص 68.

(3) المصدر نفسه، الرقم 1036، ص 381.

(4) المصدر نفسه، الرقم 1191، ص 442.

(5) المصدر نفسه، الرقم 1035، ص 381.

8. محمّد بن عبد الرحمن بن قبة الرازي: «أبو جعفر، متكلّم، عظيم القدرة، حسن العقيدة، قويّ في الكلام، كان قديماً من المعتزلة، وتبصّر وانتقل، له كتب في الكلام، وقد سمع الحديث، وأخذ عنه ابن بُطّة وذكره في فهرسته الذي يذكر فيه من سمع منه فقال: وسمعت من محمّد بن عبد الرحمن بن قبة، له كتاب الإنصاف في الإمامة، وكتاب المستثبت نقض كتاب أبي القاسم البلخي (ت 319هـ)، وكتاب الرد على الزيدية، وكتاب الردّ على أبي علي الجبائي، المسألة المفردة في الإمامة»⁽¹⁾.

9. عليّ بن وصيف، أبو الحسن الناشئ (271-365هـ): قال النجاشي: «الشاعر المتكلّم، ذكر شيخنا (رضي الله عنه) أنّ له كتاباً في الإمامة»⁽²⁾. وقال فيه ابن خلّكان: «من الشعراء المحسنين، وله في أهل البيت قصائد كثيرة، وكان متكلّماً بارعاً، أخذ علم الكلام عن أبي سهل إسماعيل بن عليّ بن نوبخت المتكلّم، وكان من كبار الشيعة، وله تصانيف كثيرة...».

10. الحسن بن موسى، أبو محمد النوبختي: له كتب كثيرة، منها: - كتاب الآراء والديانات. - كتاب فرق الشيعة. - كتاب الردّ على فرق الشيعة ما خلا الإمامية. - كتاب الجامع في الإمامة. - كتاب الموضح في حروب أمير المؤمنين. - كتاب التوحيد الكبير. - كتاب التوحيد الصغير. - مختصر الكلام في الجبر. - كتاب الردّ على أبي علي الجبائي في ردّه على المنجمين. - كتاب الردّ على الواقفة... والرجل من أكابر متكلّمي الشيعة، عاصر الجبائي (ت 303)، والبلخي (ت 319)، وأبا جعفر بن قبة المتوفّى قبل البلخي.

(1) النجاشي، رجال النجاشي، مصدر سابق، الرقم 1023، ص 375.

(2) المصدر نفسه، الرقم 709، ص 271.

متكلمو الشيعة في القرن الخامس

بلغ علم الكلام في أوائل القرن الخامس ذروة الكمال، و ظهر في الأوساط الشيعية رواد كبار، نشير إلى ثلثة منهم:

1. **الشيخ المفيد (336-413هـ):** وهو محمّد بن محمّد بن النعمان الذي أذعن بفضله و علمه كلّ موافق و مخالف، و أثنوا عليه ثناءً بالغاً منقطع النظير. قال معاصره ابن النديم (المتوفى 388هـ) وهو يعرّفه في الفهرست: «ابن المعلّم، أبو عبد الله، في عصرنا انتهت رئاسة متكلمي الشيعة إليه، مقدّم في صناعة الكلام على مذهب أصحابه، دقيق الفطنة، ماضي الخاطرة، شاهدته، فرأيته بارعاً»⁽¹⁾.

وقال الذهبي (المتوفى 748 هـ):

«عالم الرافضة، صاحب التصانيف، الشيخ المفيد، واسمه: محمّد بن محمّد بن النعمان، البغداديّ الشيعي، ويُعرف بابن المعلم. كان صاحب فنون وبحوث وكلام، واعتزال وأدب»⁽²⁾. ويُعرّفه في الميزان: «عالم الرافضة أبو عبد الله ابن المعلم صاحب التصانيف البدعية، وهي مائتا مصنف»⁽³⁾.

هذا غيضٌ ممّا قاله علماء السنّة، وأمّا الشيعة فنقتصر على كلام تلميذه: الطوسي والنجاشي، ونترك الباقي لمترجمي حياته:

يقول الشيخ الطوسي في الفهرست: «المفيد يكنى أبا عبد الله، المعروف بابن المعلّم، من (أجلّة) متكلمي الإمامية، انتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته في العلم، وكان مقدّماً في صناعة الكلام، وكان فقيهاً متقدماً فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب، وله قريب من مائتي مصنف كبار وصغار، وفهرست كتبه معروف. ولد

(1) ابن النديم، فهرست ابن النديم، مصدر سابق، ص226.

(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م، ط9، ج17، ص344.

(3) المصدر نفسه، ج4، ص30.

سنة 338هـ وتوفي لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة 413هـ وكان يوم وفاته يوماً لم ير أعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه وكثرة البكاء من المخالف والموافق»⁽¹⁾. وقال تلميذه النجاشي: «شيخنا وأستاذنا (رضي الله عنه)، فضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية والوثاقة والعلم»⁽²⁾. ثم ذكر تصانيفه. وهذه الكلمات تعرّفنا موقفه من علم الكلام، وأنه لم يكن يومذاك للشيعة متكلم أكبر منه، وكفى في ذلك أنه تخرّج على يديه لفيّف من متكلمي الشيعة نظير السيد المرتضى (355 436 هـ).

2. عليّ بن الحسين الشريف المرتضى (355-436هـ): تلميذ الشيخ المفيد. عرّفه تلميذه النجاشي بقوله: «حاز من العلوم ما لم يدانه فيه أحد في زمانه، وسمع من الحديث فأكثر، وكان متكلماً شاعراً، أديباً، عظيم المنزلة في العلم والدين والدنيا، ومن كتبه الكلامية: (الشافى) في نقض المغني للقاضي عبد الجبار في قسم الإمامة، وكتاب (تنزيه الأنبياء والأئمّة)، و(الذخيرة) في علم الكلام، وغيرها من الرسائل، شرح جمل العلم والعمل»⁽³⁾.

3. أبو الصلاح التقيّ بن الحلبيّ (374-447هـ): مؤلّف (تقريب المعارف) في الكلام.
4. محمّد بن الحسن الطوسيّ (385-460هـ): يُعرّفه العلامة الحلبيّ بقوله: «شيخ الإماميّة ورئيس الطائفة، جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة، عين، صدوق، عارف بالأخبار والرجال والفقه والأصول، والكلام والأدب، وجميع الفضائل تنتسب إليه»⁽⁴⁾. وله في الكلام كتبٌ كثيرةٌ منها: الجمل والعقود، تلخيص الشافى في الإمامة، ومقدمة في المدخل إلى علم الكلام، والاقتصاد، والرسائل العشر.

(1) الطوسيّ، الفهرست، مصدر سابق، ص 239.

(2) النجاشي، رجال النجاشي، مصدر سابق، ص 399.

(3) المصدر نفسه، ص 270-271.

(4) الحلبيّ، إرشاد الأذهان، تحقيق: فارس حسّون، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم،

1410هـ، ط 1، ج 1، ص 408.

متكلمو الشيعة في القرن السادس

ما إن أطلَّ القرن السادس إلَّا وقد أفل نجم المعتزلة حيث وُضِعَ فيهم السيف من قبل الخلافة العباسية. وكان غيابهم عن المسرح الفكريّ خسارةً جسيمةً للمنهج العقليّ. وقد بلغ التعصّب إلى حدّ أنّه أحرقت كتبهم، وقُتِلَ أعلامهم، وشُرِّدَ لفيفٌ منهم، و الحديث ذو شجون. ومع إطلالة هذا القرن بدأت تلوح علامات الضغط والكبت على الشيعة. وعلى الرغم من ذلك فقد ظهر في هذا القرن أفاضل في علم الكلام، نذكر منهم على سبيل المثال:

1. محمّد بن أحمد بن علي الفتال النيسابوري (المتوفى 513هـ): المعروف بابن الفارسيّ. عرفه ابن داود في رجاله بقوله: «متكلمٌ جليل القدر، فقيهٌ، عالمٌ، زاهدٌ، ورعٌ، قتله أبو المحاسن عبد الرزاق رئيس نيشابور الملقب بشهاب الإسلام»⁽¹⁾.
- اشتهر في أيام شبابه وارتفع شأنه فاستفتي، وسئل عن مسائل في الكلام، وصنّف كتاب (التنوير في معاني التفسير) وكتاب (روضة الواعظين وبصيرة المتعظّين) في علم الكلام والأخلاق والآداب. استشهد في أيام وزارة أبي المحاسن عبد الرزاق بن عبد الله بن أخي نظام الملك سنة 513 أو 515هـ.
2. قطب الدين المقري النيسابوري: من مشايخ السيد ضياء الدين أبي الرضا فضل الله الراوندي (المتوفى حدود 547هـ) مؤلّف كتاب الحدود (المعجم الموضوعي للمصطلحات الكلاميّة).
3. الفضل بن الحسن الطبرسيّ: مؤلّف تفسير مجمع البيان (المتوفى 548هـ) وله في تفسيره بحوث كلامية مهمّة.

(1) الحلبي، ابن داود، رجال ابن داود، تحقيق: محمد صادق آل بحر العلوم، مطبعة الحيدريّة، النجف الأشرف، 1972م، ط1، ص163.

4. الحسين بن علي بن محمّد بن أحمد (المتوفّى 552هـ): المعروف بـ (أبي الفتوح الرازيّ) وكتابه المعروف بـ (روض الجنان) مشحون بالبحوث الكلاميّة.
5. قطب الدين سعيد بن هبة الله الراونديّ (المتوفّى 573هـ): مؤلّف كتاب (تهافت الفلاسفة) و جواهر الكلام في شرح مقدّمة الكلام.
6. سديد الدين الشيخ محمود الحمصي (المتوفّى في أواخر القرن السادس): مؤلّف (المنقذ من التقليد).
7. أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسيّ (المتوفى في أواسط القرن السادس): مؤلّف كتاب الاحتجاج.
8. السيد حمزة بن علي بن زهرة الحلبي (511-585هـ): له كتاب (غنية النزوع في علمي الأصول والفروع) يقع في جزئين، والكتاب يشتمل على علوم ثلاثة: الكلام والفقه و أصوله.
9. محمّد بن علي بن شهر آشوب المازندرانيّ (المتوفّى 588هـ): أخذ عن المتكلم أبي سعيد عبد الجليل بن أبي الفتح الرازي. قال الصفدي: «أحد شيوخ الشيعة، حفظ القرآن وله ثمان سنين، وبلغ النهاية في أصول الشيعة، كان يرحل إليه في البلاد،... توفي عام 588هـ»⁽¹⁾.

متكلمو الشيعة في القرن السابع

لقد تزامن طلوع القرن السابع مع اضطراب الأوضاع السياسيّة الحاكمة على معظم الأمصار الإسلاميّة لا سيما الحروب الصليبيّة التي تركت مضاعفات خطيرة في الحواضر الإسلاميّة. وقد تزامن هذا الوضع مع هجوم شرس من قبل الوثنيّين من المشرق الذين جرّوا الويل و الدمار على المسلمين في المشرق الإسلامي، وامتدّ سلطانهم إلى بغداد وأعقب ذلك انقراض الدولة العبّاسيّة.

(1) الصفديّ، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000م، ط1، ج4، ص118.

وعلى الرغم من تلك الأوضاع العصيبة، كان للعلوم العقلية نشاط ملموس في الأوساط الشيعية، ونذكر من متكلمي الشيعة:

1. سديد الدين بن عزيزة الحلبي (المتوفى حوالي 630هـ): سالم بن محفوظ

بن عزيزة بن وشاح، شيخ المتكلمين، سديد الدين السورواوي الحلبي، ويقال له: سالم بن عزيزة.

كان من كبار متكلمي الشيعة، صنف كتاب (التبصرة) وكتاب (المنهاج) في علم الكلام، وأخذ عنه المحقق جعفر بن الحسن الحلبي (المتوفى 676هـ) علم الكلام و شيئاً من الفلسفة وقرأ عليه المنهاج.

2. الشيخ كمال الدين علي بن سليمان البحراني (المتوفى حوالي 656هـ): أستاذ

الشيخ ميثم البحراني. له كتاب الإشارات في الكلام والحكمة. وصفه السيد الصدر بقوله: «قدوة الحكماء، وإمام الفضلاء، صاحب الإشارات في الكلام، وشرحها تلميذه المحقق ميثم البحراني. وله رسالة العلم التي شرحها المحقق نصير الدين الطوسي»⁽¹⁾.

3. الخواجه نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي (597-672هـ):

«هو شخصية فذة يعجز القلم عن وصفه، فقد كان علامة عصره في الكلام والحكمة والعلوم الرياضية والفلكية، له (شرح الإشارات) الذي فرغ منه عام 644هـ وهو شرح لإشارات الشيخ الرئيس ابن سينا، وقد فند فيها أكثر ما أورده الرازي من الشكوك التي أثيرت حول آراء الشيخ. ويعدّ كتاب شرح الإشارات من أفضل الكتب الدراسية في الحكمة إلى يومنا هذا. ويكفي في حقه ما قاله العلامة في هذا المضمرة: «كان هذا الشيخ أفضل أهل عصره في العلوم العقلية والنقلية، وله مصنفات كثيرة في العلوم الحكمية والأحكام الشرعية

(1) الصدر، حسن، الشيعة وفنون الإسلام، تقديم: سليمان نيا، لاد، لاب، 1967م، ط1، ص75.

على مذهب الإمامية، وكان أشرف من شاهدناه في الأخلاق نور الله مضجعه قرأت عليه إلهيات الشفاء لأبي علي بن سينا، وبعض التذكرة في الهيئة»⁽¹⁾.

4. كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني: المعروف بالعالم الرباني المبرز في جميع الفنون الإسلامية لا سيما في الحكمة والكلام والأسرار العرفانية. اتفقت كلمة الجميع على إمامته. ولد عام 636هـ وتوفي عام 696هـ له كتاب (قواعد المرام في علم الكلام) المطبوع، وله (شرح نهج البلاغة) الذي صنّفه للصاحب خواجه عطاء الملك الجويني، وهو شرح مشحون بالمباحث الكلامية والحكمية والعرفانية، فرغ منه عام 676هـ.

5. الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الأسدي (648-726هـ): شيخ الإسلام، المجتهد الأكبر، المتكلم الفذ، الباحث الكبير، جمال الدين أبو منصور المعروف بالعلامة الحلّي، وبآية الله على الإطلاق، وبابن المطهر. ولد في شهر رمضان سنة 648هـ وأخذ عن والده الفقيه المتكلم البارع سديد الدين يوسف، وعن خاله شيخ الإمامية المحقق الحلّي، الذي كان له بمنزلة الأب الشفيق، فحظي باهتمامه ورعايته، ولزم الفيلسوف الكبير نصير الدين الطوسي مدّةً، واشتغل عليه في العلوم العقلية وبرع فيها وهو لا يزال في مقتبل عمره.

يُعرفه معاصره أبو داود الحلّي: «شيخ الطائفة، وعلامة وقته، وصاحب التحقيق والتدقيق، كثير التصانيف، انتهت رئاسة الإمامية إليه في المعقول والمنقول»⁽²⁾.

ألّف في حقل المعقول والكلام قرابة عشرين كتاباً ورسالة في ذلك المضمار. أبرزهم (كتاب كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد): وهذا الكتاب شرح لكتاب تجريد الاعتقاد للمحقق نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي (597-672هـ). وهو من أوجز المتون الكلامية وفق العقائد الإمامية. وقد شرّحه جمع

(1) الحرّ العاملي، أمل الآمل، تحقيق: أحمد الحسيني، دار الكتاب الإسلامي، قم، 1362هـ-ش، ط1، ج2، ص299.

(2) ابن داوود، رجال ابن داوود، مصدر سابق، الرقم 466، ص78.

غير من المحققين منذ تأليفه إلى يومنا هذا، وأول من شرحه: تلميذه المشهور بالعلامة الحلّي (648-726هـ) الذي أسماه (كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد)، ثمّ توالى الشروح بعده.

إنّ كتاب كشف المراد تبعاً لمتنه يدور على محاور ثلاثة:

الأول: في الأمور العامّة التي تطلق عليها الإلهيات بالمعنى الأعم، ويبحث فيه عن الوجود والعدم وأحكام الماهيات، والمواد الثلاث: الوجود والإمكان والامتناع، والقدم والحدوث، والعلة والمعلول، وغيرها من المسائل التي تبحث عن أحكام الوجود بما هو هو.

الثاني: في الجواهر والأعراض التي يطلق عليها الطبيعيات، ويبحث فيه عن الأجسام الفلكية و العنصرية والأعراض التسعة، على وجه التفصيل.

الثالث: في الإلهيات بالمعنى الأخص، ويبحث فيه عن الأصول الخمسة.

المفاهيم الرئيسية

- برز من المتكلمين الشيعة في القرن الرابع العديد من المتكلمين، منهم: الحسن بن علي بن أبي عقيل، والحسين بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، وعلي بن وصيف.
- برز في القرن الخامس من العلماء الشيعة: الشيخ المفيد، الشريف المرتضى، أبو الصلاح الحلبي.
- برز في القرن السادس من العلماء الشيعة: قطب الدين النيسابوري، الفضل بن الحسن الطبرسي، محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني.
- برز في القرن السابع من الشيعة: الخواجه نصير الدين الطوسي، وكمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني.
- استمرت مدرسة أهل البيت عليه السلام بتخريج المتكلمين، بعد العلامة الحلبي: مثل عبد الرزاق اللاهيجي، الشهيد الثاني، كمال الدين الأردبيلي، وابن يونس النباطي العاملي، والشيخ البهائي.
- من الكتب العقائدية الهامة (كشف المراد) للعلامة الحلبي الذي يُعدُّ من أهم الشروح لكتاب (تجريد الاعتقاد) للشيخ الطوسي.

أسئلة الدرس

1. أذكر بعض أسماء المتكلمين الشيعة في القرن الرابع إلى القرن السابع.
2. تحدّث عن مكانة الشيخ المفيد رحمته الله.
3. تحدّث عن كتاب (كشف المراد)، من ألفه؟ وما هي أهم مواضيعه؟

مركز المعارف للبحوث والدراسات الإسلامية

من مؤسسات
جمعية المعارف الإسلامية
الثقافية، متخصص بإعداد المناهج
وتدوين المتون التعليمية، وفق
المنهجية العلمية والرؤية
الإسلامية الأصيلة.



9 786144 672853



جمعية المعارف الإسلامية الثقافية

AL-MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION

لبنان - بيروت - العمورة - الشارع العام

تلفون: +961 1 471070 فاكس: +961 1 476142

www.almaaref.org.lb

Email: info@almaaref.org.lb